

مَجَلـة شَهـريَّـة اسلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٦)	محرم الحرام ١٤٣٦هـ
العدد الحادي عشر	نوفمبر ٢٠١٤ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتويات العدد

الافتتاحية

الحاجة إلى تدبر القرآن وفهمه واتباعه وعدم الاكتفاء بتلاوته وحفظه وتحفيظه

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء الذي أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم. وبعد:

إن مما خص الله به الإنسان وميزه به على سائر خلقه تشريفه بإنزال كلامه وكتبه إليه، لهدايته وإرشاده من ناحية، ولتقوى صلته بربه وخالقه من ناحية أخرى. وكتاب الله القرآن هو آخر الكتب الإلهية، أكرم الله به هذه الأمة، وجعله المعجزة الباقية إلى قيام الساعة. تكفل الله بحفظه ووعد بصيانته عن أيدي العبث والتحريف والضياع. {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون – الحجر: ٩} {وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد – فصلت: ٤١-٤٢}

فها هو ذا منذ أربعة عشر قرنا ونصف قرن ينور العالم بأشعته ويهدي للتي هي أقوم، من غير أن يطرأ عليه أي نقص أو زيادة لا من كلمة ولا من حرف، بل ولا من حركة، من الضم والفتح والكسر.

ثم إنه مهما اختلفت كلمات الباحثين والمتكلمين وتنوعت أساليب الكُتاب والمحققين في التعبير عن مقاصد القرآن الكريم، لكنها كلها ترجع إلى حقيقة واحدة وهدف واحد ومقصد واحد، ألا وهو اتباع تعاليمه والاسترشاد بهديه، واتخاذه دستورا للحياة ونظاما للعمل، فهو وإن كان مطلوبا قراءته وتلاوته وحفظه عن ظهر

غيب، والتعبد به – آناء الليل وأطراف النهار – لكن الهدف الأسمى والغاية العظمى منه أمر آخر، ألا وهو امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتحليل حلاله وتحريم حرامه.

نعم، تنوعت الدراسات المتفرعة عن القرآن واتسعت دائرتها، وتكاثرت العلوم المستنبطة منه والمستندة إليه والمحسوبة عليه، ولكن كل هذا وذاك إنما هو لخدمة ذلك الهدف الأصيل وتسهيل تلك المهمة الأساسية، وإذا لم يكن الأمر كذلك، ولم تمت تلك الدراسات والأبحاث إلى ذلك الهدف الأساسي بصلة ولم تخدمه من أي ناحية، فهي على رغم أهميتها وفوائدها تعتبر نوعا من الترف الفكري والطفرة العلمية. لذلك لما أكثر المفسر الرازي من العلوم والأبحاث المتنوعة حول الآيات القرآنية حدى ذلك ببعض الغيورين أن يبوح بعدم رضاه بذلك بقوله: "فيه – أي في تفسير الرازي – كل شيء إلا التفسير". وهذا الانطباع وإن كان يبدو شديدا ولكنه ينبئ عن مدى حرص صاحبه على الحفاظ على هذا الكتاب من كل ما يكدر صفو الاسترشاد بهديه والاستفادة من نوره.

فالمقصد الأسمى من إنزال هذا الكتاب قد ذكره الله بكل صراحة بقوله جل ذكره: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب – ص: ٢٩}

فذكرت هذه الآية الكريمة غايتين من إنزال القرآن الكريم:

الأولى: التدبر في آياته، والثانية التذكر بقصصه ومواعظه.

وقد ذم الله تعالى أولئك الذين يعرضون عن التدبر فيه والاتعاظ به، فقال سبحانه: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها – محمد: ٢٤}.

فهذا ينبئ أن من لم يتدبر القرآن فإن على قلبه قفلا حجزه عن تدبر القرآن، وقد يكون هذا القفل من الأهواء والشهوات وقد يكون من الشبهات، وقد يكون من التكبر في الأرض بغير الحق الخ. قال جل وعلا: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق – الأعراف: ١٤٦}.

وقد حض سبحانه وتعالى على التدبر والتفكر في القرآن ومعانيه في آية أخرى بقوله: {أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا – النساء: ٨٢}

وقد نعى أيضا على عدم التدبر في آيات الله بقوله: {أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين – المؤمنون: ٦٨}

ولا ينتهي طلب التدبر في القرآن عند ألفاظ التدبر المباشرة، بل دعا الله إليه وحث عليه بأساليب وعبارات متنوعة في آيات متعددة، مثل التفكر والتعقل والتذكر والتبصر ونحوه. فمن هذه الآيات:

- {كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون – البقرة: ٢٤٢}.
- {كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون – يونس: ٢٤}.
- {إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون – يوسف: ٢}.

إن تعلم القرآن مطلوب، وتلاوته أيضا مطلوبة، وتدبره أيضا مأمور به، ولكن الأمر لا يتوقف إلى هنا، بل هذه كلها في الحقيقة توطئة لذلك الهدف السامي والغاية العظمى، ألا وهو اتباعه والعمل به وامتثال أوامره ونواهيه، قال عز من قائل:

{وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون – الأنعام: ١٥٥}.

وفي ذكر صفات عباده المفلحين ذكر الله اتباع القرآن أيضا بكل صراحة فقال: {... فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون – الأعراف: ١٥٧}.

وإذا لم يوجد هذا الاتباع وهذا العمل فإن تلاوته وإتقانه واستيعاب ألفاظه ومعانيه لا يغني شيئا ولا ينفع أبدا، وحامل القرآن من هذا النوع يكون فيه شبه مع اليهود الذين ذمهم الله على ترك العمل بالتوراة وشبههم بالحمار. قال سبحانه:

{مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين – الجمعة: ٥}.

قال ابن كثير رحمه الله:

"يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا، أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملا حسيا، ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه ..." [1].

فهذا التمثيل يصدق على حامل القرآن أيضا إذا وقف مع القرآن موقف اليهود من التوراة في ترك العمل به، قال ابن القيم رحمه الله:

"فقاس سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره، ليس إلا، فحظه مثل الذين حملوا التوراة من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته". [2]

وحينما نرجع إلى شخصية الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لنلاحظ مدى تجاوبه مع هذه الآيات والأوامر الإلهية فأول ما يلفت انتباهنا بهذا الخصوص ما وصفته به أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: "كان خلقه القرآن" قالته ردا على من سألها رضي الله عنها عن خلق القرآن [3].

فهو صلى الله عليه وسلم تطبيق عملي ونموذج حي وترجمان صادق لكل ما يحويه هذا الكتاب من هداية وتوجيه وإرشاد. فمن شاء أن ينظر إلى القرآن مطبقا ومعمولا به فلينظر في حياة النبي وهديه وأخلاقه وأعماله صلى الله عليه وسلم. فمن أخذه وتعلمه إلى تعليمه وتلقينه، إلى تلاوته والقيام به، إلى تدبره والغوص في معانيه،

---

[1] تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٦٧.

[2] أمثال القرآن لابن القيم، ص: ٢٢ (الشاملة).

[3] صحيح مسلم: ٧٤٦ – صلاة المسافرين وتقصيرها.

إلى تطبيقه وتنفيذه في كافة مجالات الحياة وفي جميع شؤون الدين والدنيا – هو مع القرآن وللقرآن. فكأنه قرآن يمشي على وجه الأرض.

فهذه تلاوته للقرآن تلاوة واعية، تستجيب لأوامره ونواهيه وتجاوب مع مطالبه وهداياته. هي قراءة الألفاظ والمعاني معا، قراءة فيها تدبر وتذكر واتعاظ واستجابة.

ولننظر في الروايات التالية لنتعرف على مدى تعايشه صلى الله عليه وسلم مع هدي القرآن وتجاوبه لمقتضياته ومتطلباته.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلا – أي بتمهل في القراءة – إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. [١]

وعن عوف بن مالك قال: قمت مع النبي صلى الله علي وسلم ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ. [٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} قال: سبحان ربي الأعلى. [٣]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة، فقام بآية يرددها حتى أصبح، وهي: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم- المائدة: ١١٨} [٤].

ثم إن صحابته رضوان الله عليهم تلقوا القرآن منه، وعكفوا على تعلمه وتلاوته، وتدبره وفهمه، واتباعه والعمل به. وكان جل هممهم وغاية اهتمامهم أداء حقوق هذا الكتاب بكاملها، وحق الاتباع والعمل خاصة. فلم يكونوا يقفون عند ترديد حروفه

---

[١] رواه مسلم بطوله في صلاة المسافرين وتقصيرها، برقم: ٧٧٢.

[٢] رواه أبوداود والنسائي، وصححه الألباني.

[٣] رواه أحمد وأبوداود والحاكم، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير: ٤٧٦٦.

[٤] رواه النسائي وابن ماجه، وحسنه الألباني.

وحفظ كلماته وإكمال تلاوته ختمة تلو ختمة فقط، بل يولون – إلى جانب ذلك كله – عنايتهم إلى ترجمة أحكامه وأوامره في حياتهم.

يقول أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل. قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا. [١]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. [٢]

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "تنزل السورة فيتعلمون (أي الصحابة) حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها" [٣].

وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة. [٤]

"فطريقة الصحابة في حفظ القرآن تقوم على ثلاث قواعد وأسس هي الغاية في كمال التربية العملية واتباع أدق وسائل التعليم التي تغرس المعلومات في النفوس غرسا مكينا.

وهذه القواعد والأسس الثلاث هي: ١ – حفظ القرآن ٢ – فهم القرآن وفقهه، ٣– العمل بما في القرآن وتطبيق أحكامه". [٥]

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

---

[١] رواه أحمد، وأخرجه الطبري في مقدمة تفسيره.

[٢] أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره.

[٣] مشكل الآثار للطحاوي:

[٤] ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره، ص: ٢٠٥.

[٥] القرآن: أنواره، آثاره، أوصافه، فضائله ... لمحمد محمود الصواف، ص: ٢٨.

"لقد رأيت رجالا يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل.

وفي لفظ عنه قال: كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان، يقيمون حروفه، ويضيعون حدوده وحقوقه، يقولون: قرأنا فمن أقرأ منا، وعلمنا فمن أعلم منا. [١]

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله:

"إنا صعب علينا حفظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به". [٢]

ومثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

"كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورزقوا العمل بالقرآن". [٣]

وعن جندب بن عبد الله قال:

"كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا" [٤].

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] رواه ابن منده في كتاب الإيمان: ٢ / ٣٦٩ برقم: ٢٠٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٢] مقدمة تفسير القرطبي، ص: ١٠٥.

[٣] المصدر السابق.

[٤] سنن ابن ماجه: ٦١، وصححه الألباني.

من معالم الحكمة في الدعوة

(٢)

د. صالح بن عبد الله بن حميد

وبعد هذه التقدمة التي أظنكم استشعرتم من خلالها بعض معالم تشير إلى مواطن الحكمة ومسالكها عن طريق معرفة حقيقة الحكمة وأبرز الصفات في رجل الدعوة. أحب أن أبسط بعض البسط في معالم أراها حقيقة بذلك:

وسوف يكون هذا البسط من خلال التعرف على طبائع النفوس، وطبقات المدعوين، وتخير الأوقات، وانتهاز المناسبات. ثم النظر في طرائق الدعوة وأساليبها .. من إحسان في القول، والحرص على التلميح إذا أمكن الاستغناء به عن التصريح، والقصد إلى الستر والنصيحة، والبعد قدر الإمكان عن التشهير الذي قد ينقلب إلى فضيحة مع سلوك المداراة المشروعة، وإقالة العثرات ما أمكن، وإليك أخي الفاضل بسطا لبعض هذه المعالم:

المعلم الأول: طبائع النفوس وطبقات المدعوين:

الناس متباينون في طبائعهم، مختلفون في مدركاتهم، في العلم والذكاء، في الأمزجة والمشاعر، مختلفون في الميول والاتجاهات. مما يدعو رجل العلم والدعوة إلى تخير المدخل .. بل المداخل المناسبة لتلك النفوس المختلفة والعقول المتباينة.

نعم إن فيهم الغضوب والهادئ، وفيهم المثقف والأمي، فيهم الوجيه وغير الوجيه.

بل إن ثمت كلمة لعلي رضي الله عنه يصف فيها القلوب، كل القلوب بأنها وحشية فهو يقول: (القلوب وحشية فمن تألفها أقبلت عليه).

إنه يصورها رضي الله عنه وكأنها دواب متوحشة لا تعرف الألفة في طبعها، ويبدو هذا والله أعلم في ميدان النصائح والتوجيهات. فهل رأيت من يرضى أن تنسبه إلى

جهل أو عدم معرفة أو سوء في التصرف. إن الإنسان يعظم عليه أن ينسب إلى الجهل، ولذا تراه يغضب إذا نبه على الخطأ، ويجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة انكشاف جهله.

إنها في هذا الباب تنفر إذا قرب منها، بل لعلها بدافع الدفاع عن النفس تهجم وتؤذي، ومن كان صاحب حكمة وفطنة في ترويض الوحوش فهو المفلح بتوفيق الله في هداية الناس.

وصاحب الترويض الناجح هو الذي يحرص على تلمس الجانب الطيب في نفوس الناس، ويقصد إلى شيء من العطف على أخطائهم وحماقاتهم .. شيء من العناية – غير المتصنعة – باهتماماتهم وهمومهم. وسوف يصل إلى مصدر النبع الخير في نفوسهم، وحينئذ يمنحونه حبهم وثقتهم.

إن شيئا من سعة الصدر، والإحاطة بطبائع النفوس .. كفيل بتحقيق الخير في الناس بنتيجة لا يظنها الكثيرون، ينبني على ذلك ملاحظة استيعاب المدعو وسعة مداركه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فيوقعه: إما في النفرة والشرود، وإما في التخبط الفكري والدخول في غياهب الفتن.

وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة). ويقول علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله).

المعلم الثاني: تخير الأوقات وانتهاز المناسبات:

هذا معلم كبير ومؤثر من معالم الحكمة وتلمسها، يبلور ذلك كلمة جامعة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن للقلوب شهوة وإقبالا وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها) وقد كان رضي الله عنه يذكرهم كل خميس، فقال رجل: لوودت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك

أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا مخافة السآمة علينا" [١].

ولأمر ما كان نزول كتاب ربنا منجما ومفرقا على المناسبات والأحداث والأزمنة والأمكنة.

وأنت خبير أن إقبال الناس في رمضان يختلف عنه في غيره، وقبولهم حين موسم الحج مختلف عنه في غيره، وقل مثل ذلك في المناسبات المختلفة، والأحداث المتجددة من وقائع الأفراح أو حلول المصائب، فأخذ الناس بهذا ومراعاة تقلبات الدهر من حولهم يدرك به سرا عظيما في التأثير والاستجابة، وإن شئت مزيدا في هذا فانظر في الأوقات والأحوال التي يتأكد فيها استحباب الدعاء ... كأوقات السحر، ونزول الغيث، والتقاء الجيوش.

وإن رغبت في واقعة فانظر في حكمة يوسف عليه السلام حين استغل الفرصة مع الفتيين عند تعبير رؤياهما وظروف سجنهما، فدعاهما إلى الله الواحد الأحد.

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [٢]

يلتحق بذلك مراعاة الأعراف والتقاليد المرعية والطبائع في الحرف والصناعات. وقد يكون فيما أشار إليه أهل العلم رحمهم الله من تنوع معجزات أنبياء الله ومناسباتها مع ما يسود البيئات من علوم ومعارف كعصا موسى عليه السلام في بيئات السحرة، وإبراء عيسى عليه السلام في بيئات الطب، وكتاب محمد صلى الله عليه وسلم في بلاغة العرب ما يشير إلى ما قصدناه.

---

[١] متفق عليه.

[٢] سورة يوسف الآيتان ٣٩، ٤٠.

المعلم الثالث: مراعاة التدرج وترتيب الأولويات:

ما قيل في طبقات المدعووين، وطبائع النفوس، وملاحظة المناسبات .. يقابله نظر آخر في المدعو إليه فلا شك أن الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة، لأخذ الناس بالأول فالأول. فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول. فهي إن لم تصح في العبد، فلن يجدي فيه الصنيع الحسن والعمل الطيب {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [١].

ففي الدعوة كليات وجزئيات، وواجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات، وقضايا كبرى وصغرى .. كل يجب أن تعرف مواقعها وتوضع في مواضعها.

وأظن الأمر أوضح من أن يبسط القول فيه: وخذوا دليلا: منهاج مندوب الدعوة ومبعوثها إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد رسم له الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المنهج حين قال له:

"إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فإن هم أطاعوا لك بذلك .. فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك .... فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ..." [٢].



[١] سورة الكهف الآيات ١٠٣ – ١٠٥.

[٢] متفق عليه.

تفنيد المزاعم

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(١٩) بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

نشرت (١٨) حلقة من هذا البحث القيم للدكتور عبد العليم حفظه الله في المجلة بدءا من عدد رمضان ١٤٣٠ هـ = سبتمبر ٢٠٠٩ م، وانتهاء بعدد صفر ١٤٣٢ هـ = فبراير ٢٠١١م. ثم حالت الظروف الصحية المتوترة للكاتب دون إكمال البحث، وكان حفظه الله حريصا على إكماله، فتيسر له ذلك بعد أن خفف الله في مرضه، وشعر ببعض التحسن في صحته. وكان قراء المجلة ينتظرون بفارغ الصبر الحلقات المكملة لهذا البحث الطريف. فنبشرهم بأن هذه التكملة تنشر تباعا في حلقات بإذن الله تعالى. والرجاء من الإخوة القراء ألا ينسوا الدكتور البستوي في دعواتهم، ويخلصوا له في الدعاء بالشفاء التام العاجل. (الأعظمي)

ما هكذا يكون فقه الجرح والتعديل

من الكلمات التي تشدق بها الشيخ عداب الحمش كثيرا ما سماه "فقه الجرح والتعديل" وتصرف بما يوهم قراءه أنه بلغ في هذا "الفقه" منزلة لم يبلغها غيره من السابقين واللاحقين ([1]) فتجاوز قدره وتعالم وعتى حتى أصبح يطعن في ثقات لم يتكلم فيهم بجرح أحد من الأئمة من قبل. وفيما يلي أذكر بعض الأمثلة من ذلك:

طعنه في أئمة الجرح والتعديل وفي الرواة الثقات:

[1] انظر كتاب العداب، ص: ١٤٣، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٨٣.

المقال الأول:

الإمام عبد الله بن وهب القرشي – مولاهم – المصري.

ولد سنة ١٧٥ هـ ، وتوفي سنة ١٩٧ هـ.

قال الذهبي في السير: لقي بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم والعمل.

من رجال الصحيحين وغيرهما ألف عدة كتب، منها "الجامع" وكتاب "القدر" وهما مطبوعات.

اتفق الأئمة على توثيقه، كان الإمام مالك يكتب إليه يخاطبه "بفقيه مصر" وما كتبها مالك إلى غيره.

كان أحمد بن صالح المصري: حدث ابن وهب بمائة ألف حديث، ما رأيت حجازيا ولا شاميا ولا مصريا أكثر حديثا منه. وقع عندنا عنه سبعون ألف حديث.

وثقه ابن معين ، وابن سعد، وأبو زرعة، والعجلي، والنسائي، والخليلي وغيرهم. وقال أحمد: صحيح الحديث ما أصح حديثه الخ.

قال الذهبي: أحد الأثبات والأئمة الأعلام، وصاحب التصانيف تناكد ابن عدي بإيراده في الكامل. (الميزان).

قال ابن حجر: "ثقة حافظ عابد".

أما الشيخ عداب الحمش فقد تناكد أيضا إذ ذهب يلين مثل هذا الإمام الحافظ الثقة بأشياء لا تؤثر فيه، مثل أنه شوهد في أحد المرات نائما في درس سفيان بن عيينة. وانه استجاز من ابن عيينة رواية بعض الأحاديث عرضها عليه فلان أمس.

وتجاهل الشيخ عداب أو كتم عن قرائه أن الأئمة والنقاد درسوا هذه الأشياء منذ مئات السنين وردوها.

فقد قال الإمام أحمد: عبد الله بن وهب صحيح الحديث، بفضل السماع من العرض، والحديث من الحديث، ما أصح حديثه وأثبته، قيل له: أليس كان يسيئ الأخذ؟ قال: قد يسيئ الأخذ، ولكن إذا نظرت في حديثه وما روى عن مشايخه وجدته صحيحا. (الجرح والتعديل: ٥ / ١٩٠)

وقال أبو زرعة: نظرت في نحو ثمانين ألف حديث من حديث ابن وهب بمصر فلا أعلم أني رأيت حديثا له لا أصل له، وهو ثقة. (الجرح والتعديل: ٥ / ١٩٠، ١ / ٣٣٥) ووقع في بعض النسخ "ثلاثين ألف حديث" (تهذيب الكمال: ١٦ / ٢٨٤).

وقال ابن عدي: هو من الثقات لا أعلم له حديثا منكرا إذا حدث عنه ثقة.

وقال الذهبي: عبد الله حجة مطلقا، وحديثه كثير في الصحاح، وفي دواوين الإسلام، وحسبك بالنسائي وتعنته في النقد، حيث يقول: ابن وهب ثقة، ما أعلمه روى عن الثقات حديثا منكرا.

وقال الذهبي أيضا: أكثر في تواليفه من المقاطيع والمعضلات وأكثر عن ابن سمعان وبابته. وقد تمعقل بعض الأئمة على ابن وهب في أخذه للحديث، وأنه كان يترخص في الأخذ، وسواء ترخص ورأى ذلك سائغا، أو تشدد فمن يروي مائة ألف حديث، ويندر المنكر في سعة ما روى فإليه المنتهى في الإتقان.

ويتجاهل الشيخ عداب كل هذا أو يكتم ذلك عن قراءه يتحفنا بنكته مضحكة ومبكية فيقول: "هذه كلها قيود توجب على الناقد التوقف لاختبار حديث عبد الله بن وهب ومزيدا من التريث في قبول مغاريده" (ص ٢٨٦).

ولا أدري ماذا يقصد الشيخ عداب من قوله "مزيدا من التريث في قبول مغاريده" ولكنه على الأقل يفيد أن الشيخ عداب يرى التوقف في قبول أحاديثه إلا فيما توبع. وفي هذه الحالة إذا توبع يكون حديثه حسنا لغيره. والشيخ عداب يرى أن الحديث الحسن لغيره لا يحتج به في العقائد ولا في الأحكام. فأصبحت أحاديث الإمام عبد الله بن وهب كلها خارجة عن حد الاحتجاج بها. وقارن هذا بقول الإمام أحمد وأبي زرعة وابن عدي والذهبي ثم تذكر قول القائل:

"اسفنجة جاءت لشرب البحر".

المثال الثاني:

سعيد بن أبي أيوب الخزاعي، المصري، من رجال الشيخين وغيرهما.

قال ابن سعد كان ثقة ثبتا، ووثقه ابن معين والنسائي وابن حبان وغيرهم. قال أحمد: لا بأس به. قال ابن حجر: "ثقة ثبت".

ولم يعرف فيه جرح أبدا. قال ابن يونس: "كان فقيها"، وقال ابن وهب: "كان فهما حلوا"، فقيل له: كان فقيها؟ قال: نعم والله. (التقريب: ٢٧٤، التهذيب: ٤ / ٧ – ٨)

ولكن "فقيه الجرح والتعديل في زعمه" الشيخ عداب الحمش لم يعجبه هذا المحدث الثقة الثبت والفقيه العاقل، فأصبح يسخر من قول الحافظ ابن حجر فيه فقال: "فمثل هذا الراوي الثقة الثبت – كما وصفه ابن حجر – لا يجوز أن نتعامل مع مغاريده إلا في إطار التطبيق الواقعي عند أصحاب الصحاح مهما كثرت عبارات المدح العالية فيه" (ص ٢٨٨) ثم أصبح يعدد روايات "عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب" – وليس روايات سعيد وحده – فزعم أنه لم يجد في الكتب الستة بهذا الإسناد "عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب" سوى ثلاثة عشر حديثا. ولو أن الشيخ بحث في روايات سعيد وهو موضوع الحديث هنا وحده لوجد ما يسره، بينما بعض كبار الأئمة لم يفوزوا ولو برواية واحدة عند البخاري ومسلم.

ولعل الشيخ عداب لم يفهم حتى الآن أن البخاري ومسلما لم يؤلفا كتابيهما لجمع كل الأحاديث الصحيحة ولا لإحصاء كل الرواة الثقات، ولا لإحصاء كل مرويات الرواة الذين ذكراهم في كتابيهما. فمن العبث أن يقال أن البخاري لم يخرج له إلا كذا وكذا رواية أو أن مسلما لم يخرج له إلا كذا وكذا رواية. وإلا فماذا تقول فيمن لم يخرجا لهم ولو رواية واحدة وهم مع ذلك ثقات أجلاء.

المثال الثالث:

شراحيل بن يزيد المعافري المصري.

من أتباع التابعين، أخرج له البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم في مقدمة صحيحه، وأبوداود في سننه، روى عنه ستة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن حجر: صدوق، وقال الذهبي: ثقة.

أما الشيخ عداب فيقول: إن الرجل مجهول الحال، لا صدوق كما قال الحافظ، ولا ثقة كما قال الذهبي. (ص ٢٩١ من كتابه)

المثال الرابع:

أبو علقمة المصري:

من كبار التابعين، روى عن عثمان بن عفان وابن مسعود وأبي هريرة وغيرهم، روى عنه جماعة ذكر المزي خمسة عشر منهم.

قال أبو حاتم: أحاديثه صحاح، ووثقه العجلي، وابن حبان، وقال ابن يونس: كان على قضاء أفريقية، وكان أحد الفقهاء الموالي الذين ذكرهم يزيد بن حبيب، لم يعرف فيه جرح من أحد.

قال ابن حجر: ثقة، كان قاضي أفريقية، وقال الذهبي ثقة، ولي قضاء أفريقية. (تهذيب الكمال ٣٤ / ١٠١، الكاشف ٣ / ٣١٧، التقريب: ١١٨٠، التهذيب ١٢ / ١٧٣).

أما الشيخ عداب فيزعم أنه لم يجد له سوى عشرين حديثا، ولذلك "فالرجل مقبول في الترغيب والترهيب على جهالة حاله" إلى أن قال: "أما الوثاقة التي منحه إياها ابن حجر فلا أعلم مستندها". (ص ٢٩٢)

ولا أدري ما هو الحد الأدنى من الروايات للخروج من جهالة الحال عند "الإمام عداب الحمش"؟

أما عند أهل العلم والعقل فالرجل قد يكون ثقة ولو روى حديثا واحدا كما هو موضح في كتب مصطلح الحديث. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بلغوا عني ولو آية". (صحيح البخاري ٣٤٦١) قال المعافى: أي آية واحدة. (ينظر فتح الباري: ٦ / ٤٩٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه فرب مبلغ أحفظ من سامع. أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، وهو حديث صحيح. (ينظر للتفصيل: دراسة حديث نضر الله امرءا ... للشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله).

فإذا كان راوي حديث واحد أو آية واحدة مجهولا لا يوخذ بروايته فلماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ آية واحدة. ودعا بالنضارة لمن بلغ حديثا. فكيف

بمن لم يجد له "فقيه الجرح والتعديل" سوى عشرين حديثا؟؟ نسأل الله حسن التفقه والاعتدال في الاستعلاء.

المثال الخامس:

أبو الصديق بكر بن قيس الناجي.

من كبار التابعين، روى عن أبي سعيد الخدري، وعائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، روى عنه جماعة، من رجال الشيخين وغيرهما.

وثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وابن حبان، وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار: "من حفاظ أهل البصرة". (ص ٩٣) قال الذهبي في الكاشف: ثقة (١ / ١٠٨) وقال ابن حجر في التقريب: ثقة (ص ١٧٦).

وانفرد ابن سعد إذ قال: يتكلمون في أحاديثه ويستنكرونها" ولذلك قال ابن حجر في مقدمة الفتح: "تكلم فيه ابن سعد بلا حجة". (هدي الساري ص ٤٦١)

أما الشيخ فقد وجد نصا محرفا عن ابن معين فطار به [1]. حيث جاء في ترجمة زيد العمي من ضعفاء العقيلي (٢ / ٧٤) بإسناده عن كتاب أبي الوليد بن أبي الجارود عن يحيى بن معين قال: زيد العمي وأبو الصديق الناجي يكتب حديثهما وهما ضعيفان".

وبالإضافة إلى ضعفاء العقيلي أحال الشيخ عداب إلى تهذيب التهذيب أيضا (٣ / ٣٥١) لتوثيق هذا القول عن ابن معين. ولو كان الشيخ عداب متيقظا في قراءته، دقيقا في ملاحظاته لعرف أن النص في الموضع المذكور في تهذيب التهذيب "زيد العمي وأبو المتوكل يكتب حديثهما وهما ضعيفان". وهكذا ذكره المزي أيضا في تهذيب الكمال (١٠ / ٥٨) فتحرف في كتاب العقيلي "أبوالمتوكل" وأصبح "أبو الصديق" وقد ظننت بادئ ذي بدء أن هذا التحريف في المطبوعة فقط فرجعت إلى مخطوطة ضعفاء العقيلي فوجدت هذا النص هكذا: "زيد العمي وأبو الصديق يكتب حديثهما وهما

[1] والاعتماد على النصوص المحرفة من أهم ذرائع الشيخ عداب في تضعيف الأحاديث في هذا الكتاب كما سبقت الأمثلة على ذلك.

ضعيفين" فدل ذلك أن هذا التحريف من أحد النساخ في تلك النسخة نفسها إذ لا تعرف له نسخة أخرى في الوقت الحاضر. ولكن وجود النص على الصواب عند المزي وابن حجر يدل على خطإ ما جاء في هذه النسخة. ولم يستطع ناسخها أن يصحح حتى عبارتها. وساعده على هذا التحريف أن "أبا المتوكل" أيضا ينسب بـ "الناجي" فاشتبه الأمر على الناسخ.

وعلى الرغم من أنني لم أعرف حتى الآن من هو "أبو الوليد بن أبي الجارود" هذا الراوي عن ابن معين، فإن هذا النقل مخالف لما هو المشهور والمعتمد من قول ابن معين في أبي الصديق الناجي. فقد روى الدوري عن ابن معين أنه قال: "أبو المتوكل ثقة"، و "أبو الصديق ثقة". واسم أبي الصديق بكر. (تاريخ ابن معين: ٤ / ١٥١) وروى ابن أبي خيثمة فقال: سألت يحيى بن معين عن أبي الصديق الناجي فقال: بصري ثقة. (الجرح والتعديل: ٢ / ٣٩٠)

وهو ما اعتمده أئمة هذا الفن فنقلوه عن ابن معين مثل ابن شاهين في الثقات (ص ٤٨) والمزي في تهذيب الكمال (٤ / ٤٢٤) وابن حجر وغيرهم. ولم يذكروا فيه قولا آخر. ولو كان هذا النقل صحيحا عن ابن معين لكان أولى الناس بذكره في كتاب الضعفاء العقيلي نفسه، ولكنه لم يذكر له ترجمة هناك، وبالإضافة إلى ابن معين فقد وثقه أبو زرعة، والنسائي وابن حبان وغيرهم وعده ابن حبان "من حفاظ أهل البصرة" كما سبق.

أما الشيخ عداب الحمش فيقول: وقول ابن حبان "من حفاظ البصرة" عجيب. وهو لم يرو له في صحيحه إلا بضعة أحاديث" إلى أن قال: "فأبو الصديق الناجي حديثه حسن في المتابعات إذا خلا من المغامز ولم ينفرد وههنا قد انفرد". (ص ٣٢٩)

ولكن الصواب أن الشيخ عداب هو الذي شذ وانفرد في تضعيف هذا الراوي الحافظ الثقة، كما انفرد وأخطأ في ادعاء أن أبا الصديق الناجي انفرد في رواية حديث المهدي عن أبي سعيد فلم ينفرد أبو الصديق بذلك، بل رواه أبو نضرة العبدي أيضا من حديث أبي سعيد الخدري. (انظر الحديث ٤ من كتابي)

المثال السادس:

سليمان بن عبيد السلمي البصري.

يروي عن أبي الصديق، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وخالد بن الحارث والنضر بن شميل.

قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات (٦ / ٣٩٢) وكذا ابن شاهين في الثقات (ص ١٠١).

هذه تصريحات الأئمة في توثيقه ولم يعرف فيه جرح أبدا. ويرتفع أمره أكثر برواية يحيى بن سعيد القطان عنه، وقد عرف عن يحيى أنه لا يروي إلا عمن كان ثقة عنده. (انظر فتح المغيث: ٢ / ٤٢)

أما الشيخ عداب الحمش فلم يعجبه هذا التوثيق فسود أكثر من ثلاث صفحات في ذكر تعارض أقوال الجرح والتعديل في رواة آخرين لا علاقة لهم بهذا الموضوع ولا بهذه الرواية أبدا، وكأنه هو أول من اكتشف أن أقوال الأئمة في الجرح والتعديل قد تختلف لأسباب ذكرها العلماء منذ زمن بعيد [1].

وعلى الرغم من اعترافه بعدم وجود أي جرح في سليمان بن عبيد السلمي هذا يقول الشيخ دون خجل ولا حياء:

"فسليمان صاحب الترجمة الذي وثقوه، ولم ينقل فيه عن أحد أي جرح، أين رواياته التي يستحق بها درجة صدوق أو درجة ثقة؟ وما مبررات توثيقه؟ بل ما تفسير ذلك أصلا؟ لا ندري.

وبناء على فقه الجرح والتعديل فالرجل مجهول الحال بقطع النظر على كل ما قيل في توثيقه، لأن توثيقهم ليس له مستند من سبر الروايات. والله أعلم". (ص ٣٣٣ من كتاب العداب)

---

[1] تحدثت في هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مقدمة تحقيقي لكتاب "الشجرة في أحوال الرجال" للإمام الجوزجاني.

هذا هو "فقه الجرح والتعديل" عند الشيخ عداب الحمش!!! فإنه يرى من حقه أن يلغي بكل جهود أئمة الجرح والتعديل عبر القرون الطويلة الماضية والتي قامت بحماية سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم من افتراءات الكذابين وأوهام الجاهلين والمغفلين وأنتجت مئات من الكتب في الجرح والتعديل والتراجم والطبقات والتاريخ مما عجزت البشرية من الإتيان بمثلها.

إن هذا الفقه من الأولى أن يسمى "بفقه الجهل والتجهيل"، وعلى الرغم من أن الشيخ عداب يكرر هذا الشريط في كل راو ثقة لم يجد فيه مطعنا أو جرحا فإنه لم يحدد أبدا ما هو الحد الأدنى من الروايات التي يخرج بها الراوي من جهالة الحال عنده.

غير أنا نشكر فضيلته على أنه قلما يقرر شيئا باطلا إلا ويناقضه بباطل آخر. فعلى الرغم من أنه حكم بجهالة الحال في هذا المثال والأمثلة الأخرى قبله لأنه –أعني فضيلة الشيخ عداب الحمش– لم يجد له إلا رواية واحدة أو عشر روايات أو عشرين رواية أو نحو ذلك فقد قال في (ص ٥١٧) في محمد بن خالد الجندي راوي حديث "لا مهدي إلا عيسى بن مريم". وقالوا فيه: مجهول مع أن الرجل روى عنه الشافعي، ومن يروي عنه الشافعي وحده ويسوق روايته في الأم مساق الاحتجاج فلا يجوز أن يقال: إنه مجهول. فكيف وقد روى عنه مع الشافعي ثلاثة آخرون. (ص ٥١٧ من كتاب العداب)

وعلى الرغم من أن عددا من الأئمة حكموا على محمد بن خالد الجندي بأنه مجهول. وحكم عليه الإمام ابن عبد البر بأنه متروك. (التمهيد ٢٣ / ٣٩ – ٤٠) وعلى الرغم من أن الشيخ عداب نفسه اعترف في ص (٥٢١) "أنه لم يجد له في كتب الستة إلا حديثين خالف الثقات في أحدهما وانفرد بهذه الزيادة في الآخر". لكن الشيخ مع ذلك يحرم أن يقال فيه: مجهول. ولم يتساءل هناك: أين رواياته التي يستحق بها التوثيق أو يخرج بها من جهالة الحال ويجعله في مرتبة من لا يجوز أن يقال فيه مجهول الحال الخ ما هنالك.

هذا هو مقياس الشيخ في فقه الجرح والتعديل المزعوم عنده !!!

(يتبع)

❖❖❖

تحريم الإفتاء بغير علم

الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله

الحمد لله له ملك السماوات والأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الملك والتدبير، وأشهد أن محمدا عبده وسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما.

أمابعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله، ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله، فهو الذي يوجب الشيء ويحرمه، وهو الذي يندب إليه ويحلله، ولقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم. فقال تعالى: {قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة} ويقول تعالى: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم}.

أيها الناس! إن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشي إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه، أو يقول عن الشيء إنه غير واجب وهو لا يدري أن الله لم يوجبه. إن هذا جناية وسوء أدب مع الله عز وجل، كيف تعلم أن الحكم لله، ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم. لقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال سبحانه: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}.

أيها الناس إن كثيرا من العامة يفتي بعضهم بعضا بما لا يعلمون، فتجدهم يقولون هذا حلال أو حرام أو واجب أو غير واجب، وهو لا يدري عن ذلك. أفلا يعلم هذا الرجل أن الله سائله عما قال يوم القيامة، أفلا يعلم أنه إذا أضل شخصا فأحل له ما حرم الله أو حرمه مما أحل الله له، فقد باء بإثمه، وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه؟

إن بعض العامة إذا رأى شخصا يريد أن يستفي عالما يقول له ما حاجة تستفتي، هذا واضح هذا حرام، مع أنه في الواقع حلال فيحرمه ما أحل الله له، أو يقول هذا واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله به، أو يقول هذا غير واجب فيسقط عنه ما أوجب الله عليه، أو يقول هذا حلال، وهو في الواقع حرام، فيوقعه فيما حرم الله عليه، وهذا جناية منه على شريعة الله وخيانة لأخيه المسلم حيث غره بدون علم. لو أن شخصا سأل عن طريق بلد من البلدان، فقلت الطريق من هنا وأنت لا تعلم لعد الناس ذلك خيانة منك وتغريرا، فيكف تتكلم عن طريق الجنة وهو الشريعة التي أنزل الله وأنت لا تعلم عنها شيئا.

وإن بعض المتعلمين يقعون فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون ويجملون في الشريعة ويفصلون، وهم من أجهل الناس في أحكام الله. إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكأنما ينزل عليه الوحي من جزمه فيما يقول وعدم تورعه لا يمكن أن ينطق بلا أدري أو لا أعلم، مع أن عدم العلم هو وصفه الحق الثابت، وهذا أضر على الناس من العامة، لأن الناس ربما يثقون بقوله ويغترون به، وليت هؤلاء يقتصرون على نسبة الأمر إليهم، لا بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام، فيقول: الإسلام يقول كذا، الإسلام يرى كذا، وهذا لا يجوز إلا فيما علم القائل أنه من دين الإسلام، ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو إجماع المسلمين عليه. إن بعض الناس لجرأته وعدم ورعه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه، ما أظن هذا حراما أو عن الشيء الواجب الواضح وجوبه ما أظن هذا واجبا، إما جهلا منه أو عنادا أو مكابرة أو تشكيكا للناس في ذلك.

أيها الناس! إن من العقل وإن من الإيمان وإن من تقوى الله وتعظيمه أن يقول الرجل عما لا يعلم: لا أعلم، لا أدري، اسأل غيري. فإن ذلك من تمام العقل، لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به، ولأنه يعرف قدر نفسه حينئذ وينزلها منزلتها، وإن ذلك من تمام الإيمان بالله وتقوى الله، حيث لا يتقدم بين يدي ربه، ولا يقول عليه ما لا يعلم. ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي، فينتظر حتى ينزل عليه الوحي، فيجيب الله سبحانه عما سئل عنه نبيه {يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) {ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا} {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو}. ولقد كان الأجلاء من الصحابة تعرض لهم المسألة، لا يدرون حكم الله فيها، فيهابونها ويتوقفون فيها. فها هو أبوبكر رضي الله عنه يقول: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم، وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنزل به الحادثة، فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها. وقال ابن سيرين: لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر. وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيها الناس! من سئل عن علم يعلمه. فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك، فقال لكن الملائكة لم يستحي حين قالت لا علم لنا إلا ما علمتنا. وجاء رجل إلى مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة فقال يا أبا عبد الله جئتك من مسافة بعيدة في مسألة حملني إياها أهل بلدي لأسألك، فقال: فسل، فسأله، فقال لا أحسنها، فبهت الرجل، فقال ماذا أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال تقول لهم قال مالك لا أحسن. وكان الإمام أحمد يسأل عن المسألة فيتوقف أو يقول لا أدري أو يقول سل غيري أو سل العلماء أو نحو ذلك.

فاتقوا الله أيها المسلمون ولا تقولوا في دين الله ما لا تعلمون {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}. اللهم اعصمنا عن الزلل ووفقنا لصواب القول والعمل، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

❖❖❖

نبذة مختصرة عن الإمام مالك

الشيخ محمد أسلم المدني
المدرس بالجامعة السلفية، بنارس

اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان (بفتح الغين وسكون التحتانية المثناة) بن خثيل (بخاء معجمة مضمومة وثاء، وقيل: جثيل بالجيم وهو تصحيف) بن عمرو بن الحارث الحميري، الأصبحي، المدني، الإمام المشهور، إمام دار الهجرة، إمام الأئمة، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

الأصبحي الحمدي: نسبة إلى ذي أصبح من ملوك حمير باليمن في الجاهلية.

المدني: لسكناه في المدينة النبوية، لأن أحد أجداده انتقل من اليمن إلى المدينة وسكنها. وإن كان الخلاف واقعا بين المؤرخين في أول من قدم من اليمن إلى المدينة، فهل هو جده الأعلى: أبو عامر الأصبحي، أو جده مالك رحمهما الله.

اختلف العلماء في جد أبيه (أبي عامر بن عمرو) فذهب بعضهم – كالسيوطي وغيره – أنه صحابي جليل، شهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا. (تنوير الحوالك: ١ / ٢، و ٢ / ١٦٤)

وذهب بعضهم – وهو الصحيح – أنه مخضرم من كبار التابعين، وأسلم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ذكره الذهبي في التجريد، وقال: لم أره من ذكره في الصحابة، وتبعه ابن حجر في الإصابة (٤ / ١٨٨).

وأما جده (مالك بن أبي عامر) فكان من كبار التابعين – أيضا – وعلمائهم الذين لهم رواية عن الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عمر وطلحة وعائشة وأبو هريرة وحسان بن ثابت ويروي عنه بنوه: أنس وأبو سهيل ونافع والربيع، وغيرهم.

وأنه من الذين كتبوا المصحف الشريف في عهد عثمان (ترتيب المدارك ١ / ١٠٧) وأحد الأربعة الذين حملوا عثمان بن عفان ليلا إلى قبره (تنوير الحوالك: ١ / ٢) و (٢ / ١٦٤) وأما والد الإمام مالك فكان مقعدا يحترف صنعة النبل، ولا يذكر له شيء في العلم إلا أنه كان من رواة الحديث، روى عن أبيه وعن غيره، ولم يكن من أئمة هذا الشان، ولا نعرف شيئا نطمئن إليه عن أم الإمام مالك لكثرة اختلاف القدماء عنها وعن اسمها إلا أن السيوطي في تنوير الحوالك (٢ / ١٦٤) ذكر أن اسمها: العالية بنت شريك بن عبد الرحمن الأزدية.

وأما عم الإمام مالك أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر، فكان من ثقات التابعين، ومن العلماء الذين روي عنهم العلم حتى استشاره عمر بن عبد العزيز في مسألة القدر، انظر: الموطأ، كتاب القدر: ٦، وله أحاديث في الكتب الستة وغيرها.

إذا هي أسرة علمية، وفي هذه البيئة العلمية ولد الإمام مالك رحمه الله ونشأ وترعرع، ذكر ابن سعد في كتابه الطبقات ترجمة الإمام مالك، وعده في الطبقة السادسة من تابعي أهل المدينة. (تنوير الحوالك: ١ / ٢)

٢ – ولادته:

ولد الإمام مالك في سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأصح والمشهور في أقوال أهل العلم بذي المروة (ترتيب المدارك: ١ / ١١٥) الذي يقع على قرابة ثلاث مائة كيلا، شمال المدينة، وما زالت معروفة بهذا الاسم، وكان هناك مسجد من مساجد النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى غزوة تبوك. (انظر: معجم المعالم الجغرافية ص ٢٩٠ و ٢٩٣)

ثم انتقلت هذه الأسرة العلية الحميدة المثقفة من ذي المروة إلى "العقيق" على مشارف المدينة، ثم إلى المدينة.

قال ابن بكير: مولد مالك بذي المروة، وكان أخوه النضر يبيع البز، وكان مالك معه بزازا، ثم طلب العلم، وكان ينزل أولا بالعقيق ثم نزل بالمدينة. (ترتيب

المدارك: ١ / ١١٥) وكان منزلة في المدينة في بيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما في المصدر السابق.

٣ – حليته:

قال مطرف بن عبد الله:

كان مالك بن أنس طويلا، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، أبيض شديد البياض إلى الصفرة. (تنوير الحوالك: ١ / ٣)

وقال مصعب الزبيري: كان من أحسن الناس وجها وأحلاهم عينا، وأنقاهم بياضا، وأتمهم طولا في جودة بدن.

٤ – طلبه للعلم الشرعي:

كان الإمام مالك رحمه الله كثير الحرص على طلب العلم وأحفظ أهل زمانه. فاستقى من عيون الأئمة الأعلام وارتوى، وجمع وأوعى سائر ما كان عندهم من علوم الكتاب والسنة.

فحفظ أولا القرآن الكريم، ثم اتجه إلى حفظ الحديث، وأخذ عن كثير من علماء المدينة، وكان عمره آنذاك بضع عشرة سنة. (السير: ٨ / ٥٥) فحضر مجلس ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي المتوفى سنة ١٣٦هـ وأخذ عنه الفقه حتى عرف ربيعة "شيخ مالك" وفيه قال الإمام مالك: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة، وكذا سمع من ابن هرمز ولازمه سبع سنين أو ثمان سنين ملازمة شغلت معظم يومه [1] وأخذ – أيضا – عن ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ، وكان من أكبر علماء المدينة، ونافع مولى ابن عمر المتوفى سنة (١١٧هـ).

وكان مالك قوي الذاكرة، شديد الحرص على حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واجتهد وشمر حتى فاق على أقرانه، واشتهر بين الناس بـ (إمام الفقه) و (إمام الأئمة) و (إمام دار الهجرة) و (رأس المجتهدين).

[1] وفي السير (٦ / ٣٨٠) أنه لازمه ثلاث عشرة سنة.

٥ – شيوخه:

أخذ الإمام مالك عن كثير من المحدثين، بلغوا تسع مائة فأكثر، من أشهرهم:

١ – ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي، المدني الفقيه (ثقة) توفي سنة ١٣٦هـ.

٢ – أبو عبد الله نافع مولى ابن عمر المدني (ثقة) توفي سنة ١١٧هـ.

٣ – أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري (ثقة) المتوفى ١٢٤هـ.

٤ – زيد بن أسلم، المدني، الفقيه. توفي سنة ١٣٦هـ.

٥ – حميد بن قيس بن الأعرج المكي، توفي سنة ١٣٠هـ.

٦ – أيوب بن أبي تميمة السختياني، أبو بكر، توفي سنة ١٣١هـ.

٧ – إسماعيل بن محمد بن سعد بن الوقاص الزهري، توفي سنة ١٢٤ هـ.

٨ – جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب الصادق، توفي سنة ١٤٨هـ.

٩ – حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، توفي سنة ١٤٣هـ.

١٠ – إبراهيم بن شمر بن اليقظان، المقدسي، (ثقة) توفي سنة ١٥٢هـ.

٦ – تلاميذه:

قال الإمام الذهبي: حدث عنه أمم، لا يكادون يحصون. (تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٠٧)

وقال الزرقاني: والرواة عنه كثيرة جدا، بحيث لا يعرف لأحد من الأئمة رواة كرواته. (شرح الزرقاني: ١ / ٥) ومنهم:

١ – يحيى بن سعيد القطان، توفي ١٩٨هـ (السير ٩ / ١٧٥)

٢ – محمد بن إدريس الشافعي توفي ٢٠٤هـ (التقريب ص ٤٦٧)

٣ – سعيد بن منصور بن شعبة، توفي سنة ٢٢٧هـ (السير ١٠ / ٥٩٠)

٤ – سفيان بن سعيد الثوري، توفي سنة ١٢٦هـ (السير ٧ / ٢٢٩)

٥ – سفيان بن عيينة، توفي سنة ١٩٨ هـ (التقريب ص ٢٤٥)

٦ – شعبة بن الحجاج، توفي ١٦٠هـ (السير ٧ / ٢٢٦)

٧ – عبد الله بن المبارك، توفي ١٨١ هـ (التقريب ص ٣٢٠)

٨ – عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، توفي ١٥٧هـ (التقريب ص ٣٤٧)

٩ – عبد الله بن وهب، المصري، توفي ١٩٧هـ (التقريب ص ٣٢٨)

١٠ – محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، لزم مالكا ثلاث سنين فسمع منه الموطأ، غلب عليه الرأي وعرف به، وليّنه النسائي من قبل حفظه، توفي في الري سنة ١٨٩هـ. (سير أعلام النبلاء ٩ / ١٣٤)

٧ – رحلاته العلمية:

قال الدكتور كامل حسين في مقدمته على الموطأ:

لم يذكر المؤرخون عن مالك أنه رحل في طلب العلم مع أن الرحلة في ذلك الوقت كانت من أهم مقومات العالم لاسيما المحدث، وربما كان ذلك لأن الإمام كان يعتقد كما اعتقد غيره أن العلم هو علم المدينة (قلت: ولأن الإمام كان يؤثر الإقامة بالمدينة حبا لها، وكان لا يخرج منها إلا للحج أو العمرة) وهذا ما جعل حديثه يدور على ما رواه الحجازيون، فلا تجد في شيوخه في الموطأ إلا أهل المدينة خلا تسعة رجال، وهم:

١ – أبو الزبير محمد بن مسلم المكي.

٢ – حميد بن قيس الأعرج المكي.

٣ – حميد الطويل البصري.

٤ – أيوب السختياني البصري.

٥ – عطا بن السائب الخراساني.

٦ – زياد بن سعد الخراساني.

٧ – أبو أمية عبد الكريم بن مالك، من أهل الجزيرة.

٨ – زيد بن أبي أنيسة، من أهل الجزيرة.

٩ – إبراهيم بن عبلة من الشام.

٨ – أقوال العلماء فيه:

أخرج الترمذي (٢٦٨٠) وحسنه، والنسائي والحاكم في مستدركه وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل، يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة. (المستدرك ١ / ٩١) وينظر تخريجه مفصلا في: مسند الإمام أحمد (١٣ / ٣٥٨، محقق)

قال الذهبي في السير (٨ / ٥٦) هذا حديث نظيف الإسناد، وصححه ابن حبان ٢٣٠٨.

فسره ابن عيينة وعبد الرزاق وآخرون أنه الإمام مالك. وكفاه فخرا.

١ – قال الشافعي رحمه الله: إذا جاء الأثر، فمالك النجم – يعني كالنجم – وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمن علي في علم الله من مالك بن أنس.

٢ – وقال أيضا: مالك وابن عيينة القرينان، لولاهما لذهب علم الحجاز. (الانتقاء ص ١٩ – ٢٠، وتنوير الحوالك ١ / ٣)

٣ – قال البخاري وأبوداود: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر. (مقدمة الجرح والتعديل ص ١١، تنوير الحوالك ١ / ٢)

٤ – وقال ابن مهدي: ما بقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك. (تنوير الحوالك ٣ / ١٦٧)

٥ – وقال الذهبي: هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة. (السير ٨ / ٤٨)

٦ – وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا أقدم على مالك في صحة الحديث أحدا. (أيضا)

٧ – وقال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يبغض مالكا، فاعلم أنه مبتدع.

وقد ذكر الشيخ عبيد الله الرحماني / مؤلف المرعاة / أن الإمام مالكا هو إمام الأئمة حقا.

٩ – مؤلفاته:

ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك مؤلفات الإمام مالك، وذكر منها:

١ – الموطأ.

٢ – رسالة ابن وهب في القدر. قال الذهبي: إسنادها صحيح. السير ٨ / ٨٨.

٣ – كتاب في النجوم ومنازل القمر. رواه ابن سحنون عن ابن نافع الصائغ عنه، مشهور. قال القاضي عياض: (١ / ٢٠٤) وهو كتاب جيد مفيد جدا، قد اعتمده الناس عليه في هذا الباب، وجعلوه أصلا.

٤ – كتاب الأقضية، كتب بها إلى بعض القضاة، رواه محمد بن يوسف بن مطروح عن عبد الله بن عبد الجليل، وهو مؤدب الإمام مالك، في مجلد ذكره الذهبي في السير ٨ / ٨٩.

٥ – كتاب المناسك.

٦ – كتاب المجالسات عن مالك، ذكر فيه ابن وهب ما يذكر مالك في مجالسته من الفوائد والعلوم.

٧ – رسالة مالك إلى أبي غسان محمد بن مطرف في الفتوى، ذكره الذهبي في السير ٨ / ٨٩.

٨ – رسالة مالك إلى هارون الرشيد في الأدب والمواعظ. قال الذهبي إسنادها منقطع، وقد أنكرها إسماعيل القاضي وغيره، وفيها أحاديث لا تعرف. قال الذهبي: وهذه رسالة موضوعة. وقال القاضي الأبهري فيها أحاديث لو سمع مالك من يحدث بها لأدبه. السير ٨ / ٨٩، وترتيب المدارك ١ / ٢٠٦.

٩ – رسالة الإمام مالك إلى الليث في إجماع أهل المدينة، معروفة كما قال الذهبي في السير (٨ / ٩٠) وأوردها القاضي عياض ١ / ٦٤ – ٦٥ وانظر رد الليث إليها في إعلام الموقعين ٣ / ٧٢ – ٧٧.

١٠ – التفسير لغريب القرآن.

قال الذهبي: يرويه خالد بن عبد الرحمن المخزومي، يرويه القاضي عياض عن أبي جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المقرئ عن محمد بن علي المصيصي عن أبيه. السير ٨ / ٩٠.

١١ – كتاب السير من رواية ابن القاسم، جزء، ذكرها الذهبي في السير ٨ / ٨٩.

١٢ – المدونة الكبرى برواية عبد الرحمن بن القاسم المالكي (توفي سنة ١٩١هـ) جمع فيه أقوال الإمام مالك. مطبوع.

١٣ – أحكام القرآن. وهذا الكتاب ألفه أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ فجمع فيه كل ما أثر عن مالك في تفسير آيات القرآن وأحكامها.

١٠ – مرضه ووفاته:

مرض الإمام مالك يوم الأحد، ومات يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه. وذلك في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة (١٧٩هـ) على الأشهر والأصح ودفن في مقبرة المدينة المعروفة بـ "البقيع".

وقيل: توفى سنة ١٨٠، ١٨٩، ١٩٨.

١١ – مذهبه وعقيدته:

أ – مذهبه هو الأخذ بكتاب الله العظيم وبأحاديث رسوله الكريم مسندة كانت أو مرسلة، ثم بالمأثور عن الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين لاسيما قضايا عمر وفتاوى عبد الله بن عمر وعمله ثم فتاوى فقهاء المدينة السبعة.

ب – وقد أعطى لما اتفق عليه العلماء في المدينة أو جرى عليه العمل بالمدينة أهمية كبرى، زادت على اعتبارهما وسيلة من وسائل الثقة بالحديث. وقد نازعه في ذلك فقهاء الأمصار الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعي وأبويوسف وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ج – ثم يعتمد على القياس إذا لم يكن نص من كتاب أو سنة أو أثر من آثار الصحابة أو علماء المدينة. هذا هو المنهج الذي رسمه مالك لنفسه والذي يقوم عليه كتاب الموطأ، ونحن نرى هذا المنهج واضحا في كتابه. (تاريخ التشريع الإسلامي ص ١٩٠، ٢٤١)

وأما عقيدته فهو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الإيمان بكل ما ثبت في القرآن الكريم والحديث الشريف بدون تأويل. وكان يكره الخوض في مسائل الاعتقاد ويحب السكوت عنه. انظره مفصلا في الأربعينات لمحفوظ الرحمن الفيضي (ص ٩٦ – ٩٧) واعتقاد الأئمة الأربعة في أصول الدين للدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس. (يتبع)

❖❖❖

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
حياته وأعماله

(١٧)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

تراجم مشايخه رحمه الله:

سبق أن ذكرنا أسماء مشايخه وأساتذته والكتب التي درسها عليهم بشيء من الإجمال، والآن نورد تراجم بعض هؤلاء المشايخ ببعض التفصيل مع ذكر أسانيدهم وإجازاتهم حتى يتسنى للقارئ الوقوف على سلسلة سند الشيخ المباركفوري.

١ – الشيخ أحمد الله البرتاب كدي الدهلوي:

هو الشيخ أحمد الله بن أمير الله بن فقير الله بن سردار بن قائم، ولد بقرية مباركفور [1] من مديرية برتاب كدهـ في ولاية أترابراديش بشمال الهند، ودرس الكتب الفارسية والعربية على الشيخ ميان پير محمد،والسيد محمد أمين النصيرآبادي، والشيخ هداية الله خان الرامفوري، والشيخ زين العابدين الجونفوري. ثم سافر إلى بوفال بلدة العلامة النواب صديق حسن خان، وكان النواب خان قد توفي، ولكن لم تزل بوفال تحتضن العلماء الأفاضل الذين تجمعوا هناك بدعوة وترغيب من العلامة البوفالي رحمه الله. فقضى الشيخ أحمد الله عدة سنوات في بوفال، ودرس هناك على الشيخ لطف الرحمن البردواني: المطول ومير زاهد وملا حسن، وعلى الشيخ المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليمني: الصحيحين وسنن الترمذي وسنن النسائي، وعلى الشيخ سلامة الله الجيراجفوري: صحيح البخاري وسنن ابن ماجه وشرح نخبة الفكر، وعلى الشيخ أحمد السندي المكي: الثلث الأول من صحيح البخاري وأوائل صحيح مسلم، وعلى الشيخ القاضي أيوب البوفالي: أجزاء من سنن النسائي وسنن الترمذي.

---

[1] قرية مباركفور هذه غير مباركفور التي ينسب إليها العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري وغيره من مشاهير العلماء.

ثم توجه إلى دهلي، وفي طريقه إليها نزل في مدينة إله آباد على الشيخ منير الدين خان، ودرس عليه: مير زاهد وملا جلال وجزءا من المطول. وفي دهلي قرأ على الشيخ محمد إسحاق المنطقي الرامفوري: كتاب قاضي مبارك، وعلى الشيخ دبتي نذير أحمد خان الدهلوي: المعلقات السبع وديوان المتنبي والمقامات الحريرية وديوان الحماسة، وعلى الشيخ تلطف حسين العظيم آبادي: كتب الفرائض، وعلى الشيخ نظام الدين: الشمس البازغة وصدرا ومسلم الثبوت والتصريح والخيالي وشرح العقائد النسفية، وعلى الشيخ محمد بشير السهسواني: مير زاهد، وأمور عامة وشرح الإشارات.

وفي دهلي حضر في دروس الشيخ المسند السيد نذير حسين الدهلوي، فدرس عليه الصحيحين وأطراف الكتب الستة، وحصل منه على إجازة الحديث. وكان ذلك في أواخر حياة الشيخ نذير حسين الدهلوي.

وفي عام ١٣٤٥ هـ سافر للحج، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن إبراهيم بن حسن النجدي، وحصل منه على إجازة لرواية الحديث. وقد أسند أيضا عن العلامة المحدث شمس الحق العظيم آبادي مؤلف عون المعبود شرح سنن أبي داود، كما حصل على إجازة رواية المسلسل بالأولية من الشيخ المحدث القاضي محمد بن عبدالعزيز المجهلي شهري.

وقام بالتدريس والإفادة في مدرسة الحاج علي جان بدهلي لنحو عشرين سنة، ولما تأسست مدرسة دار الحديث الرحمانية في دهلي عام ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١ م بدأ يدرس فيها. ولازم هذه المدرسة لنحو ١٧ سنة، وفي هذه الفترة درس عليه الشيخ عبيد الله الرحماني وغيره من الفحول. وفي يناير عام ١٩٣٨م = شوال ١٣٥٦هـ انتقل إلى المدرسة الزبيدية في دهلي، وظل يدرس فيها إلى آخر حياته. وقد توفي في ٢٩ / من شهر صفر عام ١٣٦٢هـ، وخلف عددا كبيرا من الطلبة والتلامذة الذين يتصلون بواسطته بالسيد نذير حسين الدهلوي، من أمثال الشيخ عبيد الله الرحماني والشيخ نذير أحمد الرحماني الأملوي والشيخ محمد يونس البرتاكدهي والشيخ عبد السلام البستوي والشيخ الحافظ محمد الغوندلوي والشيخ عبد الغفار حسن الرحماني، والشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي النجدي والشيخ عبد الرؤف نعمة الله الرحماني، وغيرهم، رحمهم الله.

وقد قضى معظم أوقاته في التدريس والدعوة والإفتاء، ولم يتيسر له مساهمة كبيرة في التأليف، ومع ذلك توجد له بعض الكتابات، منها:

١ – التأمل، في الرد على رسالة: التوسل بسيد الرسل.

٢ – البرهان العجاب في فرضية أم الكتاب، وهو عبارة عن محاضرات شيخه محمد بشير السهسواني قام بجمعها ونشرها.

٣ – فتاوى في مجلدين، ضاع أحدهما في ثورة ١٩٤٧م عقب استقلال الهند، والثاني كان موجودا عند ابن أخته الشيخ محمد يونس البرتاب كدهي في باكستان.

وكان قد أصدر مجلة شهرية باسم "تبليغ السنة" من دهلي عام ١٣٣٧ هـ، أيام تدريسه في مدرسة الحاج علي جان بدهلي، ولكن توقف صدورها بعد زمن قصير[1].

وفي السطور التالية أورد نص إجازة الحديث التي منحها رحمه الله لتلميذه النجدي الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله، الذي درس عليه في مدرسة دار الحديث الرحمانية بدلهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وبين كتابه بنبيه لعباده الإنس والجن عربا وعجما، وشيد معالم العروة الوثقى إلى يوم التناد، وبالأسانيد العلى الذين خلصوا بأعلام التقى. ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، تقدس بذاته وصفاته عن وصمة التشبيه والتعطيل، لا ند له ولا مثيل. وصلى الله على محمد وآله وصحبه والأئمة المحدثين الحافظين شريعة الله ورسوله صلاة وسلاما إلى يوم الدين.

أمابعد. فإنه قد ورد إلينا في بلدة دلهي الطالب النجيب الأمجد والصالح الأرشد العالم الجليل والفاضل النبيل عبد الله بن محمد القرعاوي النجدي من أهل عنيزة، غفر الله لهما، وقرأ علي بلوغ المرام والمشكاة والمنتقى، وشيئا من التفسير، وشيئا من العربية في مجيئه الأول. وبعد مجيئه الثاني قرأ علي وسمع مني الصحاح الست والموطأ

---

[1] مصادر ترجمته: تراجم علماء حديث هند: ١ / ١٧٤ – ١٧٨، نزهة الخواطر: ٨ / ٤٧، العجالة النافعة مع التعليقات الساطعة، ص (١٠٧)، جريدة أهل حديث أمرتسر: ١٩٤٣م، حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٨٨ – ٢٩٠، جهود مخلصة، ص: ١٥٠ – ١٥١، مجموعة مقالات مولانا عبد الحميد الرحماني: ٣ / ٣٦٩ – ٣٨٥.

والبيضاوي مع الطلبة، وطلب مني بعد الفراغ من القراءة والسماع الإجازة في ذلك، ووصل سنده بسند أهل الجد والاتباع، فأسعفته بذلك تحقيقا لظنه ومطلوبه، لأنه أهل لذلك، فإن كنت لست أهلا لذلك ولكن تشبها بالأئمة الأعلام السابقين الكرام، شعر:

وإذا أجـزت مـع القصور فإنني أرجو التشبـه بالـذين أجـازوا
السـابقين إلى الحقيقـة منهجـا سبقوا إلى غرف الجنان ففازوا

فأقول وبالله التوفيق: إني قد أجزت الطالب المذكور كما أخذت قراءة وسماعا وإجازة عن مشايخ أجلاء وأعلام وأساتذة كرام، من أجلهم شيخنا الشريف الإمام الهمام المحقق سيدنا نذير حسين الدهلوي رحمه الله، عن الأورع الأتقى المشهور في الآفاق مولانا محمد إسحاق رحمه الله، عن الشيخ الشهير العالم الجليل شاه عبدالعزيز رحمه الله، عن الشيخ الأجل الأكمل شاه ولي الله رحمه الله، وسنده مثبت في العجالة النافعة للشيخ الشاه عبد العزيز.

ح وشيخنا الأكرم سند المحدثين رئيس المحققين حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليمني، عن العالم الفاضل محمد بن ناصر الحسني الحازمي، والقاضي العلامة أحمد بن القاضي الحافظ الرباني محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، كلاهما عن والد الثاني أعني به القاضي العلامة الحافظ الرباني محمد بن علي الشوكاني، عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني، عن شيخه السيد العلامة سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل رحمه الله.

ح وبرواية الشريف محمد بن ناصر والقاضي أحمد بن محمد بن علي الشوكاني عاليا بدرجة، وعن شيخنا السيد العلامة ذي المنهج الأول حسن بن عبدالباري الأهدل، ثلاثتهم عن السيد العلامة وجيه الإسلام ومفتي الأنام عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل رحمه الله تعالى، عن شيخه ووالده السيد العلامة نفيس الدين وخاتمة المحدثين سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل، عن شيخه السيد العلى أحمد بن محمد شريف الأهدل، عن شيخيه العلامتين عبد الله بن سالم البصري المكي وأحمد بن محمد النخلي المكي، كلاهما عن المحقق الرباني الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني المدني، عن شيخه العلامة أحمد بن محمد القشاشي – بضم القاف – المدني، عن شيخه العلامة الشمس محمد بن أحمد الرملي المصري

الشافعي، عن شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري. ح وبرواية البصري والنخلي أيضا عن الشمس محمد بن علاء الدين البابلي – بكسر الباء الثانية – المصري، عن سالم بن محمد السنهوري، عن النجم محمد بن أحمد الغيطي، عن القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري، عن شيخ الإسلام وخاتمة المحدثين الأعلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله.

فأروي صحيح الإمام الحافظ أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله تعالى بالأسانيد المذكورة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن شيخه زين الحفاظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، عن شيخه الإمام الحجة المسند المعمر أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، عن شيخه الإمام أبي عبد الله الحسين بن مبارك الزبيدي، عن الحافظ أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، عن الإمام أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، عن شيخه الحافظ أبي محمد عبد الله بن أحمد حموية الحموي السرخسي، عن الحافظ أبي عبد الله بن يوسف بن مطر الفربري، عن مؤلفه الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الملقب بردزبه الجعفي مولاهم البخاري رحمه الله تعالى.

وأما صحيح الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري، فأرويه بالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الصلاح بن أبي عمر المقدسي، عن أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن البخاري، عن المؤيد محمد الطوسي، عن فقيه الحرم أبي عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، عن أبي الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي، عن أبي أحمد بن عيسى الجلودي – بضم الجيم – نسبة إلى سكة الجلوديين بنيسابور الدراسة، وقيل بفتحها نسبة للجلود قرية، كذا في ثبت الأمير محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر المصري، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مؤلفه الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى، إلا ثلاثة فرأيته في ثلاثة مواضع لم يسمعها إبراهيم بن محمد بن سفيان من شيخه الإمام مسلم، فروايته لها عن مسلم بالإجازة أو بالوجادة، وقد غفل أكثر الرواة عن تبيين ذلك وتحقيقه في إجازاتهم وفهارسهم، بل يقولون في جميع الكتاب: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان قال أخبرنا مسلم بن الحجاج، وهو خطأ، نبه على ذلك

الحافظ ابن الصلاح، كما حكاه عنه النووي في مقدمة شرح مسلم رحمه الله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما سنن الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله، فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن أبي علي المطرزي، عن يوسف بن علي الحنفي، عن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، عن أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي، عن إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، عن أبي علي بن محمد بن أحمد اللؤلؤي، عن مؤلفه أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى، آمين.

أما سنن الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله تعالى، فبالأسانيد السابقة إلى شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري، عن العز عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن الفرات، عن الشيخ أبي حفص عمر بن الحسن المراغي، عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن البخاري، عن عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكروخي بفتح الكاف وضم الراء، عن القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي، عن أبي محمد عبدالجبار بن محمد بن عبد الله الجراح المروزي، عن الشيخ الثقة الأمين أبي العباس محمد ابن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي، عن مؤلفه الحافظ أبي عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله.

وأما سنن الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي رحمه الله تعالى، فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن إبراهيم بن أحمد التنوخي، عن الإمام أحمد بن أبي طالب الحجار، عن عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني بضم الدال وسكون الواو وكسر النون بعدها ياء نسبة إلى دون قرية من قرى دينور، عن القاضي أبي نصر أحمد بن الحسين الكسار، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السنى، عن مؤلفه الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي رحمه الله تعالى.

وأما سنن الإمام الحافظ محمد بن يزيد بن ماجه – بسكون الهاء – القزويني، فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي الحسن علي بن أبي المجة

الدمشقي، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، عن أنجب بن أبي السعادات، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، عن الفقيه أبي منصور محمد بن الحسين ابن أحمد المقومي القزويني، عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، عن مؤلفه الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني رحمه الله تعالى.

فأعلم أن لعبد الله بن محمد المذكور أن يروي عني جميع ما في هذه الكراسة من الكتب المذكورة بأسانيدها إلى مصنفيها المذكورين، وأوصيته بمراجعة الكتب المؤلفة في أسماء الرجال، والكتب المصنفة في ضبط الألفاظ المشكلة في متون الأحاديث وإيضاح معانيها، وكتب مصطلح الحديث كألفية الحافظ العراقي والحافظ السيوطي وشروحهما، والنخبة وشرحها للحافظ ابن حجر وحواشيها، وشروح الأمهات الست، خصوصا فتح الباري للحافظ ابن حجر فإنه بحر تيار وعباب زخار، وتأمل معاني الأحاديث والتعبير عن كل لفظ بمدلوله العربي، وأوصيه بتقوى الله في السر والعلن، والمراقبة لله تعالى فيما ظهر وما بطن، ومتابعة السنن والحياء من الله وحسن الظن بالله وبعباد الله، وأن لا يغفل عن ذكر الله المطلق وتلاوة كتابه وتدبر معانيه والمجاهدة في الله بحسب الطاقة فيما يقربه إلى الله عز وجل، وألا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته، في حياتي وبعد موتي، ووالدي وأولادي ومشايخي، وفقنا الله وإياه لما يرضاه، وسلك بنا وبه طرق النجاة، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأنا المجيز العاجز المسكين: أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي مسكنا، هندي والإله آبادي مستوطنا، غفر الله لهما، وستر عيوبهما وجعلهما من ورثة جنة النعيم، للعالم المذكور في يوم الأحد، وقد مضت ثلاث وعشرون من شعبان سنة ألف وثلاث مائة وسبعة وخمسين من هجرة النبي الأمين الشافع في يوم الحشر، صلى الله عليه وعلى أهله وأصحابه وأحزابه إلى يوم المحشر. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. [1]



[1] أورد هذه الإجازة الشيخ عبد الحميد الرحماني في إحدى مقالاته. انظر: مجموعة مقالات الشيخ عبد الحميد الرحماني: ٣ / ٣٧٨ – ٣٨٣.

التعليم والتربية

النية في طلب العلم

د. أحمد حاج محمد عثمان

إن طلب العلم قربة من أفضل القربات، وطاعة من أجل الطاعات، وعبادة من أعظم العبادات مع صحة النيات، قال الله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} (البينة: ٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات".

وهذا يدل على أن غير المخلص لله تعالى ليس مأمورا به، وما هو غير مأمور به لا يجزئ عن المأمور به، فلا يعتد بهذه العبادة [١].

فعلى طالب العلم في أول طلبه وفي أثنائه أن يعنى بإصلاح قصده، وتصحيح نيته، وإرادة وجه الله به، فإن "خير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مغبة، وأحمدها مغبة ما تعلّم وعلم لله، وأريد به وجه الله تعالى" [٢].

فينوي نفي الجهل عن نفسه، والعمل بما علم، ليعبد الله على بصيرة، قال مهنا: قلت لأحمد: حدثنا، ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم، قلت: لمن؟ قال: لمن صحت نيته، قلت: وأي شيء يصحح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه [٣]، وينفي عنه الجهل [٤].

وقال أبو جعفر الطبري: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بطلب العلم للعمل به، والقيام بالواجب عليه فيما عَلِمَه منه، ووهب له من معرفته، أو لتعليم جاهل، وإرشاد ضال، لا لمباهاة العلماء، أو مماراة السفهاء، وصرف وجوه الناس به إليه [٥].

---

[١] الفروق للقرافي ٣ / ١٠.

[٢] عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٢ .

[٣] وفي هذا إشارة إلى العمل بالعلم، فإن المتكبر – والتكبر مظنة لعدم الانتفاع بالعلم – فاقد شعبة من أعظم شعب الإيمان، وهو التواضع.

[٤] الآداب الشرعية لابن مفلح ٢ / ١٢٦.

[٥] تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب ٢ / ٨٠٣، ٨٠٤.

وقال المؤلف أبو بكر الآجري: ويكون مراده من طلب العلم أنه يريده لنفسه، لينتفي عنه الجهل، ويعبد الله – عز وجل – فيما افترض عليه بعلم، فمن كان هذا مراده في طلب العلم نفعه الله – عز وجل – ونفع به، ووفقه، وكثّر له قليل عمله، وبارك له فيه [١].

فمن وفقه الله من طلبة العلم لتيك النية في أول طلبه للعلم فهو قَمِنٌ بأعلى المنازل جدير بأفضل المراتب.

فإن لم يوفق إلى هذه النية فهجم على طلب العلم من باب حب العلم لذاته وكراهية معرة الجهل فحسب فيرجى له أن يصلحه العلم، ويحمله على تصحيح النية وتجويد القصد، ويقوده إلى العمل به، كما دلت على ذلك ظواهر عبارات مأثورة عن السلف، وحملها على الاتفاق أولى من حملها على الاختلاف.

روى الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي [٢]، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: "لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله تعالى ولا ما عنده، فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده".

وروى الدارمي [٣] – واللفظ له – ويعقوب بن سفيان الفسوي [٤] والقاضي أبومحمد الرامهرمزي [٥] وأبو بكر البيهقي [٦] والحافظ أبو القاسم ابن عساكر [٧] عن مجاهد قال: "طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله بعد فيه نية".

قال الإمام الذهبي: أي طلبوه بلا نية دينية ولا دنيوية، بل محبة في العلم، إذ الجهل تأباه النفوس الزكية، والفطر الذكية [٨].

---

[١] فرض طلب العلم ١٦٤.

[٢] في مسنده ١ / ٣٧٢.

[٣] في مسنده ١ / ١١٢.

[٤] المعرفة والتاريخ ١ / ٧١٢.

[٥] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ١٨٣.

[٦] المدخل إلى السنن الكبرى ٢ / ٧٨.

[٧] تايخ مدينة دمشق ٥٧ / ٣٦.

[٨] مسائل في طلب العلم وأقسامه ٤٠.

وروى علي بن الجعد [١] وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي [٢] وأبوبكر الخطيب [٣] – واللفظ له – وأبو نعيم الأصبهاني [٤] عن حبيب بن أبي ثابت قال: "طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم جاءت النية والعمل بعد".

وروى عبد الرزاق [٥] – واللفظ له – وأحمد بن حنبل [٦] ويعقوب بن سفيان الفسوي [٧] والبيهقي [٨] وابن عساكر [٩] عن معمر بن راشد قال: "كان يقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله".

وروى أبو بكر الخطيب [١٠] – واللفظ له – وابن عساكر [١١] عن معمر بن راشد قال: "لقد طلبنا هذا الشأن، وما لنا فيه نية، ثم رزقنا الله بعد".

وروى علي بن الجعد [١٢] عن سفيان بن سعيد الثوري قال: "طلبنا العلم، ولم تكن لنا نية، ثم رزق الله النية".

وروى علي بن الجعد [١٣] وأبو بكر الخلال [١٤] وأبو محمد الرامهرمزي [١٥] وأبوبكر الخطيب [١٦] – واللفظ له – عن سفيان الثوري قال: "ما أعلم شيئا يطلب به

---

[١] مسند ابن الجعد ١ / ٤٠٦.

[٢] جزء من حديث خيثمة بن سليمان ١٧٠.

[٣] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ / ٣٣٩.

[٤] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥ / ١٦.

[٥] المصنف، كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي ١١ / ٢٥٦.

[٦] الأسامي والكنى برواية ابنه صالح ٦١ .

[٧] المعرفة والتاريخ ٢ / ٨٢٠.

[٨] المدخل إلى السنن الكبرى ٢ / ٧٦.

[٩] تاريخ مدينة دمشق ٥٩ / ٤١٧.

[١٠] الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٣٣٩.

[١١] تاريخ مدينة دمشق ٥٩ / ٤١٧.

[١٢] مسند ابن الجعد ٢ / ٧٥٥.

[١٣] مسند ابن الجعد ٢ / ٧٦٤.

[١٤] الآداب الشرعية ٢ / ١٢٧ قال أبو عبد الله ابن مفلح: إسناده صحيح.

[١٥] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ١٨٢، ١٨٣.

[١٦] شرف أصحاب الحديث ١٢٧.

الله – عز وجل – هو أفضل من الحديث"، فقال له إنسان: إنهم يطلبونه بغير نية! قال: "طلبهم له نية".

وروى الرامهرمزي [١] عن حفص بن ماهان قال: كنا في مجلس سفيان ابن عيينة، فقام إليه رجل فقال: يا أبا محمد، نشدتك بالله أطلبت هذا العلم يوم طلبته لله؟ فأعرض عنه سفيان، ثم قام الثانية فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالثة فقال مثل مقالته، فقال سفيان: "اللهم لا، إنما طلبناه تأدبا وتظرفا، فأبى الله إلا أن يكون له".

وروى أبو محمد الرامهرمزي [٢] وأبو بكر البيهقي [٣] وأبو بكر الخطيب [٤] – واللفظ له – عن محمد بن إسحاق قال: جاء قوم إلى سماك ابن حرب يطلبون الحديث، فقال جلساؤه: ما ينبغي لك أن تحدث هؤلاء، ما لهؤلاء رغبة ولا نية، فقاك سماك: "قولوا خيرا، قد طلبنا هذا الأمر ونحن لا نريد الله به، فلما بلغت منه حاجتي دلني على ما ينفعني، وحجزني عما يضرني".

وقال أبوداود لأحمد: كتبت الحديث بنية؟ قال: "شرط النية شديد، ولكن حبب إليّ فجمعته" [٥].

قال الإمام الفقيه المحدث شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي: قال شيخنا [٦]: من فعل هذا [٧] أو غيره مما هو خير في نفسه، لما فيه من المحبة له، لا لله، ولا لغيره من الشركاء فليس مذموما، بل قد يثاب بأنواع من الثواب، إما بزيادة فيها وفي أمثالها، فيتنعم بذلك في الدنيا، ولو كان كل فعل حسن لم يفعل لله مذموما لما أطعم الكافر

---

[١] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ١٨٣.
[٢] المحدث الفاصل ١٨٢.
[٣] المدخل إلى السنن الكبرى ٢ / ٧٧.
[٤] الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٣٤٠.
[٥] الآداب الشرعية ٢ / ١٣١.
[٦] يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.
[٧] يعني طلب العلم والحديث.

بحسناته في الدنيا، لأنها تكون سيئات، وقد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا: أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه.

وهذا معنى قول بعضهم: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. وقول الآخر: طلبهم له نية. يعني نفس طلبه حسنة تنفعهم [١]، وهذا قيل في العلم، لأنه الدليل المرشد.

فإذا طلبه بالمحبة وحصله، عرّفه الإخلاص، فالإخلاص لا يقع إلا بالعلم، فلو كان طلبه لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور، وعلى هذا ما حكاه أحمد [٢]. وهو حال النفوس المحمودة.

ومن هذا قول خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم: كلا، والله لا يخزيك الله أبدا. فعلمت أن النفس المطبوعة على محبة الأمر المحمود وفعله لا يوقعها الله فيما يضاد ذلك [٣].

وأما إن فسدت مناويه وساءت مقاصده وطلب العلم ليتخذه فخا يصطاد به سقط المتاع، وحبلا يجمع به حطام الدنيا، من مال أو جاه أو مكاثرة في الأتباع، فقد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب [٤] وأضاع نصيبه، وخسر نفسه، وهبط به العلم الذي ارتقى به غيره إلى أعلى الدرجات على أسوأ الدركات.

قال أبو محمد بن حزم: وليت شعري على ماذا يحصل المسكين الذي يطلب العلم ليحظى به في دنياه، والله لا يحصل من ذلك إلا على دنيا منغصة، ولباس خشن، ولذات يستتر بها استتار الغراب بسفاده، ولا يتهناها موفرة، ولا على ما يوفي نفسه منها، ولو طلب الدنيا على وجهها لكان أنفذ لأمره، وأعظم لجاهه، وأكثر لماله، وأوفر للذته، وأتم لهيبته، وأقل لوزره، وأخف لعذابه [٥].

---

[١] وقال أبو زكريا النووي: معناه: كان عاقبته أن صار لله تعالى. التبيان في آداب حملة القرآن ٦١.

[٢] قال ابن قندس في حاشيته على كتاب الفروع: الذي حكاه هو قوله: حبب إلي فجمعته، والله أعلم.

[٣] كتاب الفروع ٢ / ٣٤٠.

[٤] انظر: الكبائر للإمام الذهبي ٢٨٣.

[٥] رسالة التلخيص لوجوه التخليص ٢١٧.

وقال الإمام الذهبي: قد يكون طلب العلم الذي هو الواجب والمستحب المتأكد مذموما في حق بعض الرجال، كمن طلب العلم ليجاري به العلماء، ويماري به السفهاء، وليصرف به الأعين إليه، أو ليعظم ويقدم، وينال من الدنيا المال والجاه والرفعة، فهذا أحد الثلاثة الذين تسجر بهم النار [1].

فعلى من تلوّث بذلك تجريد الإخلاص، وتصحيح النية، وتحسين الطوية، والتوبة إلى الله توبة نصوحا.

وذكر الإمام الذهبي قسما رابعا فقال: ويليه رجل طلب العلم محبة فيه، ممزوجة بشهوة رئاسة، ونيته حسنة، لا ينافس في طلب المدارس، ويقنع بما قدر له، فإن جاءه رزق وولاية فرح بها لشدة فاقته، وليتوسع من الدنيا ويعمل غالبا بما ينبغي، ويستغفر الله من تقصيره، فهذا داخل في قوله: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم} (التوبة: ١٠٢)، اللهم فتب على حملة العلم واغفر لهم [2]. ❖❖❖

الحج المبرور

قال أبو الشعثاء: "نظرت في أعمال البر، فإذا الصلاة تجهد البدن، والصوم كذلك، والصدقة تجهد المال، والحج يجهدهما". والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" (متفق عليه).

والحج المبرور: هو الذي لا يخالطه إثم. وقيل: المتقبل. وقيل: الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق. وقيل: علامة بر الحج أن تزداد بعده خيرا، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه. وعن الحسن البصري قال: "الحج المبرور أن يرجع زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة".

---

[1] مسائل في طلب العلم وأقسامه ٣٩.

[2] مسائل في طلب العلم وأقسامه ٤١.

تفنيد المزاعم

المرأة في الإسلام

د. سعيد إسماعيل صيني

يعزز الإسلام – بتعاليمه – الفطرة البشرية التي خلق الله الناس عليها. لقد خلق الله الناس ذكورا وإناثا ليكون هناك نوع من التخصص في مجالات أساسية لا يمكن الاستغناء عنها. ثم ليكمل بعضهما بعضا. وهما يشبهان في ذلك الليل والنهار اللذين يؤلفان اليوم، والتيار الموجب والسالب اللذين يؤلفان الطاقة الكهربائية التي تبعث الحياة أو الحركة في كثير من الجمادات.

ومما ميّز الله به الإناث حرارة العاطفة وغلبتها على سلوكهن، وذلك إضافة إلى تميز الأنثى بالرقة في الخِلقة التي تقيد حرية حركتها في أرجاء البيئة التي تعيش فيها مع الرجل. وجعلها الخالق سبحانه وتعالى تتميز بالرقة في الأخلاق، لتكون قادرة على امتصاص حدة الرجل، ولتكون جذابة توفر له المأوى النفسي اللازم فتخفف عنه همومه وتنسيه عناءه، ولتكون حنونة ومناسبة لتربية الصغار. فهي مخلوقة ناعمة وأكثر استعدادا للتضحية بنفسها في سبيل إسعاد الآخرين. وهذه الصفات والمكونات البشرية لا تستغني عنها أي أسرة سعيدة أو مجتمع. فقد أثبتت التجارب العلمية أن المرأة أكثر قدرة على احتمال الأوضاع النفسية الصعبة، وأكثر استعدادا للشفاء من الصدمات النفسية.

ومن جهة أخرى، فإن الله خلق الرجل متصفا بالخشونة التي تتيح له فرصة التجول في مساحة أكبر من حيث الموقع ومن حيث الوقت. فالرجل أقدر جسميا على حماية نفسه من المخاطر التي قد يتعرض لها الإنسان، ويجعله ذلك أقل عرضة للاعتداء. كما يغلب على تكوينه النفسي أنه أقدر على الثبات أمام كثير من الأحداث، مثل ظهور بعض الحشرات أو الحيوانات بصورة مفاجئة. ولهذا، فهو يجرؤ على ارتياد مواقع مأهولة أو موحشة أومحفوفة بالمخاطر، بجسارة وبسلامة أكبر مما

هو متاح للمرأة. وهو يجرؤ وبأمان أن يتحرك في أرجاء البيئة المسكونة والموحشة، حتى في الساعات المتأخرة من الليل أكثر من المرأة.

وعموما عندما نتحدث عن الصفات التي تميز الرجل أو المرأة فإن هذا لا ينفي وجود حالات استثنائية، حيث يبرز الرجل في مجالات اختصاص المرأة وتبرز المرأة في مجالات اختصاص الرجل.

ما مكانة المرأة في مقابل مكانة الرجل؟

هناك نصوص يستدل البعض بها للتدليل على خلاف القاعدة العامة في العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، التي تشبه علاقة النهار بالليل، حيث الاختلاف في الطبيعة مع التكافؤ في الأهمية.

ومن النماذج على الخطأ في فهم النص بسبب تجريده من السياق قول الرسول صلى الله عليه وسلم "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها". [1]

فالسياق هو أن اليوم كان يوم عيد ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم حثهن على التصدق. فهي مناسبة طيبة لمداعبتهن بقول يرتكز على حقائق جزئية هي: أن شهادتهن في بعض الأمور بنصف شهادة الرجل، والإعفاء من الصلاة بدون قضاء، وتأجيل صوم رمضان إلى أيام أخر. وجاءت الدعابة مدحا في صيغة ذم (ناقصات عقل ودين وقد يسيطرن على العقلاء من الرجال).

وإذا كن أكثر أهل النار فذلك طبيعي لأن عددهن أكبر من عدد الرجال إضافة إلى عوامل أخرى. وأما كونهن يكفرن العشير بالمبالغة في نكران الخير فهي طبيعة لازمة للإنسان العاطفي.

---

[1] صحيح البخاري: الحيض.

وعلى وجه العموم فإن مكانة المرأة – في الإسلام – في مقابل مكانة الرجل تقع في فئات ثلاث:

أ – حالات تتساوى فيها المرأة مع الرجل:

لقد جعل الإسلام النساء شقائق الرجال، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم[١] وجعل الرجال والنساء أوصياء بعضهم على بعض، حيث يقول تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ....} [٢] ويقول تعالى: {للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن} [٣]. ويقول تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [٤] ويقول تعالى: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما} [٥]. ويحمل الإسلام المرأة نصف المسؤولية فقط بالنسبة لخروج آدم وحواء من الجنة [٦]. بل، ويحمل الرجل المسؤولية الكبرى في ذلك لأن القرار النهائي في يده [٧].

ب – حالات تميزت فيها المرأة على الرجل:

لقد جعل الإسلام حقوق الأم في الإسلام أعظم من حقوق الأب [٨]. وفي المملكة العربية السعودية، مثلا يمنح نظام الموظفين الحكومي إجازة – حدها الأدنى – خمسا وأربعين يوما للوالدة، اعتمادا على التقدير الذي ورد في الحديث النبوي عن مدة

---

[١] الترمذي: الطهارة.

[٢] سورة التوبة: ٧١.

[٣] سورة النساء: ٣٢.

[٤] سورة النحل: ٩٧.

[٥] سورة الأحزاب: ٣٥.

[٦] سورة البقرة: ٣٦.

[٧] سورة طه: ١٢١.

[٨] انظر مثلا: البخاري: الأدب.

النفاس، وذلك إضافة إلى إجازتها السنوية [١]. وبناء على عدة المرأة عند وفاة زوجها المنصوص عليها في القرآن الكريم [٢]. يمنحها نظام الموظفين حوالي مائة يوم إجازة خاصة غير إجازتها السنوية. وليس للرجال حق مماثل. كما سمح لها الإسلام لبس الذهب ولبس الحرير دون الرجال. وأعفاها من الصلاة في الشهر أسبوعا أثناء الحيض وبعد الولادة أكثر من شهر.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد جعل الإسلام لتربيتهن فضلا لم يجعله للذكور، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة" [٣]. وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله" [٤] فيجعل الإحسان إلى الزوجة معيارا لدرجة خيرية الرجل.

فهل نقول بأن الإسلام يمارس التمييز العنصري ضد الرجل؟

ج – منح الرجل صلاحيات ومزايا:

لقد جعل الإسلام الرئاسة في الأسرة للرجل وزاد نصيبه في الإرث، عندما يكون مسؤلا عن الأنثى، وجعل شهادته ضعف شهادة المرأة في بعض الأمور. وفي مقابل ذلك حمله مسؤوليات أعفى المرأة منها، حيث جعل الرجل مسئولا عن أسرته ماليا، في حدود المصاريف الأساسية، وجعله الحارس لها.

وهكذا نلاحظ أن الإسلام يجعلهما متماثلين في أشياء كثيرة وجعل لكل منهما ميزات. وبهذا يساوى الإسلام بينهما ليس مساواة النهار بالنهار والليل بالليل، ولكن مساواة الليل بالنهار في الأهمية، وفي عدم استغناء الحياة المثالية عنهما، كما أن اليوم الكامل لا يستغني عن النهار أو الليل.

وعموما عندما نتحدث عن الإسلام فإنه ينبغي التفريق بين الإسلام وبين تطبيقات المسلمين التي قد تنحرف كثيرا عن التعاليم الإسلامية، وذلك لأنهما شيئان مختلفان.

---

[١] الترمذي الطهارة.

[٢] سورة البقرة: ٢٣٤.

[٣] الترمذي: البر والصلة.

[٤] الترمذي: المناقب.

وخير للمرأة المسلمة أن تطالب بحقها في الإسلام، بدلا من المطالبة بالمساواة مع الرجل، وذلك لأن المساواة ستفقدها كثيرا من الحقوق الفطرية التي يؤكدها الإسلام.

ولو راجعنا نصوص الثورة الفرنسية التي يتغنى بها المنادون بالمساواة غير الواقعية ودساتير كثير من الدول ومنها الديموقراطية العلمانية لوجدنا أنها لم تعترف بحق المرأة في كثير من الأمور، التي ضمنها الإسلام لها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، إلا في القرون الأخيرة. ليس هذا فحسب بل هناك حقوق لم تمنحها لها بعد مثل إعفائها من المسؤولية المالية الخاصة بأسرتها وباستقلالها ماديا بصورة تامة. [1]

فهل بعد هذه الحقائق ترغب المسلمة العاقلة في الحصول على ما حصلت عليه المرأة الغربية، وتتنازل عن الحقوق والامتيازات التي منحها لها الإسلام؟

ما مكانة المرأة في النشاط السياسي؟

للصفات الفطرية التي سبق الحديث عنها، عند بيان وضع المرأة في الإسلام، تبين معنا أنه لكل من الرجل والمرأة صفات تميزه عن الآخر. كما بدا واضحا أن الصفات التي يتميز بها الرجل تجعله – في الغالب – أصلح للولاية الكبرى، ولاسيما إذا كانت هذه الولاية تجمع صلاحية الاجتهاد والقضاء والتنفيذ [2]. وأما الولايات الأخرى فقد اختلف في بعضها فقهاء المسلمين. ومن هذه المجالات التي اختلفوا فيها: القضاء، والحسبة (الوظيفة الرسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والوظائف الإدارية الأخرى.

ولكن من المؤكد أن الإسلام يجعل المرأة مؤهلة لتحمل المسؤولية. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الإمام راع

---

[1] الدواليبي، حقوق الإنسان ص ٤ – ٥، وانظر مثلا الدستور الأمريكي الذي صدر في ١٧٨٧، ويقتصر الحق الكامل للمواطنة على البيض الأحرار ولم يتم منح المرأة حق الانتخاب صراحة إلا في عام ١٩٢٠. انظر دورين، التجربة الدستورية.

[2] ويستند ذلك إلى تعليق للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قيل له أن الفرس ملكوا عليهم امرأة: "لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة" (البخاري: المغازي). ويعلق البعض بأن هذا القول لا يدل على تحريم تولية المرأة ولكنه تنبؤ لما سيحدث لفارس. وقد صدقت نبوءته. عليه الصلاة والسلام.

ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها .... وكلكم راع ومسئول عن رعيته" [١].

كما أن الإسلام لم يهمل المشورة المتميزة للمرأة. فقد أخذ رسول رب العالمين الذي ينزل عليه الوحي مشورة زوجته أم سلمة رضي الله عنها، عندما رفض أصحابه تنفيذ أمره بحل الإحرام، تعبيرا عن عدم القناعة بفقرة في اتفاقية السلام مع قريش التي كانت تضطهد المسلمين. وكانت الفقرة تقول بأن على المسلمين إعادة من يسلم من قريش إليها ولا ترد قريش من يهرب إليها من المسلمين. فقد أشارت عليه أم المؤمنين بأن يبدأ هو في حل إحرامه دون أن يكلمهم. ففعل رسول الله ما أشارت عليه، فبادر الجميع إلى فعل ذلك [٢].

لماذا شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل في بعض القضايا؟

يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى} [٣].

الآية إرشاد عام للمتعاملين بمعاملات مؤجلة. وهناك فرق بين الشهادة التي قد يعتمدها القاضي والشهادة التي يوصى بها أصحاب الحقوق عند إبرام العقود. ففي الحالة الأولى يقوم الواقع بفرض شروطه الخاصة على الشهادة، مثل رفض شهادة القريب في بعض القضايا وإن كان رجلا مع قبول شهادة المرأة الأجنبية.

ويضاف إلى ذلك أن الإسلام قد جعل مسؤولية الإشراف على الأسرة على عاتق الرجل فكانت له الرئاسة في الأسرة بسبب الصفات الخاصة التي توفرت له ولم تتوفر للمرأة. ومن الطبيعي أن يكون لقول المسؤولين ورأيهم وزن أكبر حتى في النظم

---

[١] صحيح البخاري: الجمعة.

[٢] ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٢٩٥.

[٣] سورة البقرة: ٢٨٢، وانظر مثلا تفسير ابن كثير.

الديموقراطية. فرأي الرئيس يعتبر مرجحا للنصف الذي هو معهم عندما تنقسم الأصوات إلى نصفين في القضية المحددة.

وفي ضوء الاختلافات الفطرية التي سبقت الإشارة إليها كان الرجل أكثر إحاطة بالبيئة الواسعة، وأصلح للشهادة في كثير من القضايا وكان لشهادته وزن أكبر، وأقل تعرضا للخطر في حالة الشهادات التي قد يترتب عليها مخاطر.

وهناك مجالات أخرى تعتبر فيها شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل [1] وفي قضايا ذات أهمية كبرى. ومثال ذلك أن المسلمين تعلموا كثيرا من أمور دينهم عن طريق زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم. وهناك أمور تتعلق بعورات الإناث لا يمكن للرجل أن يشهد فيها. فالشهادة فيها قاصرة على المرأة، وكذلك الحال بالنسبة للرجال. فالمسألة ليست مسألة أقل شأنا أو أعظم شأنا ولكن الأصلح في قضية محددة.

كما أن المرأة أصلح لرعاية الأطفال. ولهذا نجد كثيرا من المحاكم حتى في الدول ذات النظام اللاديني تجعل حضانة الأطفال إلى الأم في حالة انفصال الأبوين. (الولايات المتحدة الأمريكية مثلا) فهل نقول: إن هذا النظام يهضم حقوق الرجل ويحرمه من المساواة مع المرأة؟ أو أن الإسلام يحرم المرأة من المساواة مع الرجل؟

طبعا. لا نقول ذلك، ولكن نقول: إن الأم أصلح لرعاية الأطفال الصغار من الرجل، والرجل أقدر على الشهادة في كثير من القضايا.

(يتبع)

❖❖❖

---

[1] سورة النور: ٦ – ٩. يقسم الزوج أربع مرات ليثبت إدانة زوجته بتهمة الزنى فتقسم زوجته أربع مرات لتدفع عن نفسها هذه التهمة.

درس الحديث الأول من صحيح البخاري

فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد رحمه الله

نص المحاضرة التي ألقاها العلامة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد رحمه الله، الأستاذ السابق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبالمسجد النبوي الشريف، بمناسبة افتتاح الدراسة بالجامعة السلفية (مركزي دار العلوم) بنارس في: ٢٧ / ذي القعدة ١٣٨٥هـ = ٢١ / مارس ١٩٦٦م، وقد أوفده سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، نائب رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك نيابة عن سماحته، وبموافقة من خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله للمشاركة في فعاليات حفل افتتاح الدراسة بالجامعة السلفية. وقد تم نشر كلمة الشيخ عبد القادر التي ألقاها في حفل الافتتاح في العدد السابق من المجلة.

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه وبركاته على خير النبيين وأفضل المرسلين، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم وترسل خطاهم ونهج مناهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فخير الهدي هدي محمد ﷺ، وقد حمى الله تبارك وتعالى شريعة نبينا محمد ﷺ بموجب الذكر الذي أنزله على النبي محمد ﷺ علي حد قوله: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ثم حفظ سنة محمد ﷺ كذلك برجال اختارهم الله تبارك وتعالى علي علم، وفي مقدمة هؤلاء الرجال بل أميرهم على الإطلاق أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي الذي قررت إدارة الجامعة المركزية ببنارس أن يكون من مقرركم في السنة الأولى من أوله من صحيح البخاري وهو كتاب أبي عبد الله يكاد أهل العلم

يطبقون على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله تبارك وتعالى وإن يكن تنازع بعض أهل العلم في ذلك، فزعم بعض الناس أن كتاب مسلم أصح منه أو أفضل منه، ولذلك قال بعضهم:

تنازع قوم في البخاري ومسلم لديّ وقالوا أي ذين مقدم

فقلت لقد فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم

لكن البخاري بما من الله تبارك وتعالى من حسن الضبط وتمام الحكمة وقوة القريحة وشدة الذكاء وما شرط من شروط سلكها وسار على نهجها التمحيص سنة رسول الله ﷺ، لذلك على حد قوله: لقد فاق البخاري صحة، وإن يكن قد عاب عليه بعض الناس أن فيه مكررا ولكن لله در قائل إذ يقول:

قالوا المسلم فضل قلت البخاري أعلى

قالوا المكرر فيه قلت المكرر أعلى

ولقد كان من حسن صنيع أبي عبد الله أمير أهل الحديث على الإطلاق البخاري على أن افتتح كتابه الصحيح بحديث عجيب فروى عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول علقمة بن وقاص سمعت عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات، وفي لفظ بالنية. وإنما لكل امرء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، وفي لفظ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وهذا الحديث يعتبر بالنسبة لصحيح البخاري كالخطبة الجامعة، فإن أبا عبد الله لم يجعل في كتابه خطبة ولا مقدمة، وكأنه جعل هذا الحديث واكتفى به كمقدمة لكتابه وخطبة لكتابه في نفس الوقت، فكأنه يقول لا فائدة في العلم ولا فائدة في العمل ولا نجاح يرجى من العمل، ولا يرجى من العلم إلا إذا صلحت النية وخلصت النيات لله تبارك وتعالى. لذلك كله جعله الحديث الأول في أول كتابه الصحيح.

وهذا الحديث الأول كما أشرت رواه البخاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وقد رواه معه (روى هذا الحديث مع البخاري) عن يحيى بن سعيد أكثر من سبعين مائة شيخ وإن يكن بعد ذلك روي على طريق التفرد والغرابة، فلم يرووا عن يحيى بن سعيد بطريق صحيح إلا عن علقمة عن محمد التيمي، ولم يروه محمد بن إبراهيم التيمي بطريق صحيح إلا عن علقمة بن الوقاص الليثي، ولم يرو عن غير علقمة بن وقاص الليثي بسند صحيح عن عمر بن الخطاب إلا بطريق علقمة بن وقاص الليثي، ومع كونه بهذا الطريق فقد أجمع الناس على الاحتجاج به، وقد رواه معه ثاني رجل عند أهل العلم بالحديث، وهو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن الحسين القشيري النيسابوري رحمه الله وأعلى درجته في الصالحين.

قد بدأ في الحديث فقال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى" فجاء بجملتين: الجملة الأولى "إنما الأعمال بالنية" فكأنه يقول لا عمل إلا بنية، ثم يقول بعدها "ولكل امرء ما نوى"، كأنه يقول: لا يجوز لعاقل أن ينتظر في الآخرة خيرا إلا إذا كان قصد إلى ذلك الخير، كالجملة الأولى وهي قوله "إنما الأعمال بالنيات" حصر "بإنما" وكأنه يقول لا عمل إلا بنية، فلو قال قائل من أهل العلم: ما معنى "لا عمل إلا بنية" هل المراد نفي الوجود أو نفي الكمال أو نفي الصحة، قول النبي عليه الصلاة والسلام "إنما الأعمال بالنيات" يفسر ولا بد بتفسير من تفسيرات ثلاث، لا عمل موجود، لا عمل كامل، لا عمل صحيح.

فأي التفسيرات ههنا يمكن أن يكون صحيحا؟ لا عمل موجود، لا يمكن أن يراد ههنا أبدا، لماذا؟ لأننا نشاهد أعمالا يعملها أصحابها بلا نية، فمثلا يقول بعض الحنفيين أو عامة الحنفيين يقولون لو أن رجلا كان جنبا، فركب بعيرا فسقط البعير به دون نية في بحر فانغمس في الماء دون نية يخرج طاهرا فقد وجد العمل إذا بلا نية، ونحن نجد كثيرا من الناس يمشون في الطرقات ويفعلون أفعالا، وإذا سألتهم لماذا يفعلون هذه الأفعال، ما يدرون لماذا يفعلون، ووجدوا الناس يفعلون ففعلوا كما فعل الناس.

فهؤلاء ما ينفي عنهم وجود العمل، العمل موجود وقلنا ليس لهم بنية، إذا يمكن أن يراد بقول النبي ﷺ إنما الأعمال بالنيات نفي الوجود إذا.

أما أن يراد نفي الكمال أو نفي الصحة، وقد تنازع الناس في ذلك، وأكثر أهل العلم بالتفسير والتأويل على أن مراد النبي ﷺ من قوله إنما الأعمال بالنيات، يعني لا عمل صحيح إلا بالنية، نحن نجد رجلين يخرجان من البيت، أخوين يخرجان من البيت يمشيان بطريق واحد، أحدهما خرج يريد الصلاة، والثاني خرج يريد السوق يشتري لأهله الحاجة.

هذا الذي خرج يريد المسجد وهو يمشي مع صاحبه ممسكا بيده، هذا الذي خرج يريد المسجد كلما رفع رجله اليمنى يرفعه الله بهذا درجة، وكلما يحط الرجل اليسرى يحط الله عنه خطيئة حتى الملائكة يكتبون له الحسنات، ويمحون السيئات، حتى وصل إلى باب المسجد، فلو دخل المسجد، فالملائكة لا تزال تصلي عليه وتستغفر له وتتنزل، وتدعوا الله أن ينزل عليه الرحمة ما دام ينتظر الصلاة، لوجود نية في قلب الرجل وإرادة في قلبه لهذا العمل الصالح.

وهذا الذي خرج لا يريد الصلاة بل خرج يريد السوق يشتري لأهله الحاجة، لم يكتب له شيئ، يرفع رجله فلا فائدة في رفعها ويحط رجله اليسرى فلا فائدة له من حطها، بخلاف ذلك، لو أن ذلك الرجل خرج للسوق عندما وصل إلى باب المسجد سمع الأذان، وقال أنا إذن لأدخل المسجد وأصلي، فمن عندما ينوي دخول المسجد والصلاة تبدأ الملائكة تدعوا له، إذا رفع رجله رفع الله درجة وإذا حط رجله حط الله عنه خطيئة، كذلك يخرج الرجلان يريدان الصلاة، ويدخلان المسجد من باب واحد ثم يقفان في صف واحد ويكبران جميعا الله أكبر، ويصليان ثم يسلمان، وأحدهما له من الدرجات بسبب صلاته كجبل أحد أو أشد، والثاني خرج بأوزار كجبل أحد أو أشد، كان لهذا نية صالحة يريد ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى بأعماله، عقل من صلاته ما قرأ من القرآن فيها وفهم عن الله وعن رسول الله ﷺ ما ورد في ذلك، تذكر وهو واقف الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى، وتذكر وهو راكع وتذكر وهو ساجد كيف نبت هذا اللحم من هذا التراب الذي هو يسجد عليه، والفرع والأصل واحد فصار فرعين مختلفين، هذا يتحرك لحمه ودمه، وهذا تراب لا يزال جامدا نشأ عليه، فيخرج هذا من الصلاة بحسنات عظيمة، وهذا يخرج بأوزار، ولذلك يقول النبي ﷺ "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى" وليس لكل إنسان إلا ما عزم من العمل الصالح وقصد من قصد صالح، وأراد إرادة صالحة،

فما كان له يقبل الله تبارك وتعالى، ولذلك - نعوذ بالله - أول أهل النار تسجر به النار يوم القيامة رجل عالم، يؤتى برجل عالم، ونعوذ بالله أن نكون منهم يوم القيامة، فيسجر به النار، فيقول له الناس "ألم تكن كذا ألم تكن كذا"؟ ويقول الله في معنى الحديث القدسي: إنما علمت لتقال عالم، وقد قيل، يعني علم لا لله، وطلب العلم لا لله، بل ليقال في الدنيا هو عالم وقد قال الناس هو عالم، فحصل على مكافأته الدنيوية، وليس له في الآخرة من حظ ولا نصيب، بل تسجر به النار يوم القيامة.

"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" انظر ثم ضرب النبي ﷺ لذلك مثلا، هذا المثل يقول فيه النبي بعد ذلك "من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، وأصل هذا الحديث له سبب، ذلك السبب أن رجلا كان يحب امرأة يقال لها أم قيس، خرجت هذه المرأة من مكة مهاجرة إلى مدينة النبي ﷺ لم يدركها الرجل في مكة فأسلم وهاجر من أجل أم قيس ليتزوجها، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها (كمهاجر أم قيس) فهجرته إلى ما هاجر إليه" يعني ليس له من حظ ولا نصيب إلا هذا الذي قصد. "من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله".

إذا كان واحد يسأل من علماء اللغة العربية يقول في سؤاله مثلا: إن كان هذا محمد فهو محمد، إن كان هذا مذياع فهو مذياع، إن كان هذا صحيح البخاري فهو البخاري، هذا الكلام يفيد في اللغة العربية؟

لو قال واحد إن كان هذا صحيح البخاري فهو صحيح البخاري، إن كان هذا السفير فهو السفير، إن كان هذا الطالب فهو الطالب، إن كان هذا المذياع فهو المذياع، هذا الكلام في اللسان العربي لا يفيد لأنه لم يحصل من الإخبار نتيجة، فالإخبار موجود قبل وجود الخبر، لا نقول إن كان هذا المذياع معناه فكأنك تقول فهذا المذياع فلا نتيجة لها. فما معنى قول النبي ﷺ هنا: من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ما دام هذا في اللغة العربية لا يصح، ما دام هذا في اللسان العربي لا يصح، لا يصح أن يقال: إن كان هذا مهاجر فهو مهاجر، إن

كان هذا كتاب فهو كتاب، إن كانت هذه طائرة فهي طائرة، هذا ما يصح في اللغة العربية. فما معنى قول النبي ﷺ: من كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، إيش معنى ذلك؟

معنى ذلك حمل الخبر على معنى يصح به الكلام، وأصل الكلام من كانت هجرته بالنية والقصد إلى الله ورسوله فذلك الذي يستحق شرف الهجرة وجزاء الهجرة وثواب الهجرة ومنزلة الهجرة وكرم الهجرة ورفعة شان الهجرة، حتى يقول محمد ﷺ: لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، لو سلك الأنصار شعبا وسلك الناس شعبا لسلكت شعب الأنصار.

ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، فكان مراد النبي ﷺ: من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، يعني من كانت هجرته عملا وقصدا لله ورسوله فهجرته ثوابا وجزاء لله ورسوله، ومعنى ذلك أنه لا يستحق فضل الهجرة ولا يستحق شرف الهجرة ولا يستحق درجة الهجرة إلا من أخلص نيته إلى الله تبارك وتعالى. والهجرة كما قال النبي ﷺ: تجب ما قبلها، فالأسلام يهدم جميع السيئات، لو كان الرجل كافرا فأسلم يهدم جميع السيئات، ولو كان مذنبا فتاب تجب التوبة جميع السيئات، ولو كان غير مهاجر فهاجر لله ورسوله الهجرة تجب ما قبلها، ولذلك أثر أن رسول الله ﷺ كان يقول: أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها، أي تمحي وتزيل ما قبلها من الخطايا والسيئات.

والهجرة هجرتان، هجرة باقية إلى يوم القيامة وهجرة قد نسخت بكمال شريعة الإسلام، أما الهجرة التي قد نسخت فهي الهجرة من مكة إلى المدينة، لذلك قال النبي ﷺ: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، أما الهجرة التي تبقى أبد الآباد ولا تفنى حتى يفنى الليل والنهار، فهي هجرة المعاصي والسيئات على حد قول النبي ﷺ: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، وكذلك الهجرة من بلد فيها شرك ومعاص تعجز الإنسان عن نصرة الحق فيها أو العبادة بحرية فيها، فإن كان يعجز عن نصرة الدين والقيام لله بالحق فإنه تجب عليه الهجرة إلا إذا كان يستطيع بحيلة أو بطريقة ما أن يتحايل لنصرة الإسلام فهذا بالخيار، إن شاء هاجر ليكون حرا، وإن شاء استمر يتحايل نصرة الإسلام، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على النبي وآله وصحبه وسلم.

(جريدة ترجمان دهلی، ١٥/ديسمبر ١٩٦٦م ص: ١٨–١٩)

اجتماع مسؤولي المدارس التابعة للجامعة السلفية

تتبع الجامعة السلفية نحو (٢٥) مدرسة ثانوية من مختلف ولايات الهند، وهي تعتبر فروعا للجامعة. وينتخب طلابها للدراسة في مرحلة العالمية بالجامعة بعد إكمال مرحلة الثانوية بنجاح وبمعدل مطلوب. وتعقد الجامعة اجتماعات بين حين وآخر مع مسؤولي هذه المدارس للنظر في أمورها ومشاكلها ومتطلباتها. فإحياء لهذه السلسلة عقدت الجامعة اجتماعا لمسؤولي هذه المدارس في يوم الأحد: ٢٥ / ذي القعدة ١٤٣٥ هـ = ٢١ / سبتمبر ٢٠١٤ م.

بدأ الاجتماع في مبنى دار الضيافة في الساعة التاسعة صباحا برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، الأمين العام للجامعة السلفية، وقام بإدارة الاجتماع فضيلة الشيخ عبد الكبير المباركفوري مدير لجنة إلحاق المدارس بالجامعة. وقد حضر عدد (٣٢) مندوبا من هذه المدارس في الاجتماع، وشارك فيه أعضاء لجنة إلحاق المدارس من أساتذة الجامعة السلفية أيضا.

وقد ناقش الاجتماع القضايا المطروحة في جدول الأعمال، من أهمها الازدياد المستمر في أعداد طلاب هذه المدارس، الراغبين في الالتحاق بالجامعة بعد إكمال الثانوية في مدارسهم، في حين أن الجامعة لسعتها المحدودة لا تستطيع قبول تلك الأعداد الكبيرة لمواصلة الدراسة بالجامعة. وأفاد الأمين العام للجامعة الشيخ عبدالله سعود بأن هناك مبنى على بعد نصف كيلومتر من مقر الجامعة سوف يكتمل بناؤه بعد أشهر، ويتم نقل بعض الأقسام من المبنى المركزي إلى ذلك المبنى الجديد. وبعد ذلك يرجى أن الجامعة تزيد في عدد الطلاب في مرحلتي العالمية والفضيلة بإذن الله تعالى. وفي الوقت نفسه أكد الاجتماع على تحسين المستوى الدراسي في هذه المدارس ليتسنى لطلابها الالتحاق بالجامعة بعد الحصول على الدرجات المطلوبة.

كما بحث الاجتماع في الأمور والوسائل التي تقوي الصلة بين الجامعة والمدارس التابعة لها، وفي المشكلات التي تعترض هذا السبيل، وقدم المشاركون مقترحاتهم لمواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها.

استمر هذا الاجتماع إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا، وفي ختامه قدم الأمين العام للجامعة الشكر والامتنان إلى مسؤولي المدارس ومندوبيها على تفضلهم بقبول دعوة الجامعة ومشاركتهم في الاجتماع.❖